التسامح الإنساني: مفهومه، مجالاته، وآثاره في ضوء الإسلام (نماذج مختارة من سيرة النبيّ ﷺ)

Human tolerance: its concept - fields - and effects in the light of Islam (Selected examples from the biography of the Prophet)

إعداد

فاطمة سعيد المنصوري

Fatima Saeed Al Mansoori

طالبة دكتوراة الاجتهاد الشرعي في القضايا المستجدة بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

Doi: 10.21608/jasep.2025.423383

استلام البحث: ٦ / ٢ /٢٠٢٥

قبول النشـــر: ٢٨ / ٢ / ٢٠٢٥

المنصوري، فاطمة سعيد (٢٠٢٥). التسامح الإنساني: مفهومه، مجالاته، وآثاره في ضوء الإسلام (نماذج مختارة من سيرة النبيّ ﷺ). ***المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر،٩(٤٨)، ٥٢٥ ـ ٥٦٨.

http://jasep.journals.ekb.eg

التسامح الإنساني: مفهومه، مجالاته، وآثاره في ضوء الإسلام (نماذج مختارة من سيرة النبيّ ﷺ)

المستخلص:

لقد خلق الله تعالى البشر وكرّمهم، وأرسل إليهم رسلًا، وشرع لهم من الأحكام، ليتعايش الناس في رحمة وسلام، ويتعاملون فيما بينهم على أسس من التسامح والتعايش السلمي، ولقد عمّ الإسلام بتعاليمه وبرحمته أرجاء الكون كلّه، فلم يكن بشرائعه السمحة توّاقًا إلى العداء، أو التصادم مع مخالفيه أبدًا، أو كان ظالمًا أو باغيًا عليهم، بل كان هدى ورحمة وبشرى للعالمين، يعترف بالمخالفين، يتعايش معهم ويساكنهم، ويقيم معهم العلاقات والمعاهدات، والاتفاقات التي تضمن أمن الجميع وسلامتهم. ومن هذا المنطلق يتناول هذا البحث مفهوم التسامح باعتباره قيمة إنسانية أساسية وأحد أهم ركائز بناء المجتمعات المستقرة والمتقدمة، ويسلّط الضوء على التسامح من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، ويستعرض أهميته في القرآن الكريم والسنة النبوية، بالإضافة إلى تجلياته المختلفة في الحياة الاجتماعية والدولية، كما يبرز البحث المجالات المتعددة للتسامح، ومنها التسامح الديني، والعرقي، والاجتماعي، والاقتصادي، والدولي، مع التأكيد على دوره في تحقيق السلم العالمي والتنمية المستدامة .ويناقش البحث أيضًا الضوابط التي تحكم التسامح، ووسائل استدامته لضمان تحوّله إلى نهج حياة وليس مجرد شعارات، كما يخصص مبحثًا لدراسة تسامح النبي ﷺ مع المسلمين وغير المسلمين، كأحد أعظم النماذج التاريخية في هذا المجال.خلص البحث إلى أن التسامح ضرورة لا غنى عنها في المجتمعات المعاصرة، حيث يعزز الوحدة الاجتماعية، ويساهم في الحدّ من الصراعات، ويدعم التنمية الاقتصادية، وقد أوصى البحث بضرورة إدماج قيم التسامح في المناهج التعليمية، وتعزيز دور المؤسسات الإعلامية والدينية في نشر ثقافة التسامح، ووضع تشريعات تحمي التعددية، إضافة إلى تفعيل المبادرات المجتمعية التي تعزز التعايش السلمي بين الأفراد والشعوب.

الكلمات المفتاحية :التعايش السلمي، الوحدة المجتمعية، الوسطية في الإسلام، نبذ الكراهية، الحوار بين الأديان.

Abstract*:*

God Almighty has created human beings and honored them, and sent them messengers, and legislated for them from the provisions, so that people coexist in mercy and peace, and deal with each other on the basis of tolerance and peaceful

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

coexistence, and Islam has spread with its teachings and mercy throughout the whole universe, so it was not with its tolerant laws eager for hostility, or collision with its opponents at all, or it was He was an unjust, merciful and good news for the worlds, recognizing violators, coexisting with them and cohabiting with them, and establishing relations, treaties and agreements with them that guarantee the security and safety of all. From this point of view, this research deals with the concept of tolerance as a basic human value and one of the most important pillars of building stable and advanced societies, andsheds light on tolerance in terms of language and terminology, and reviews its importance in the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet, in addition to its various manifestations in social and international life, and the research also highlights the multiple areas of tolerance, including religious, ethnic, social, economic, and international tolerance, with an emphasis on its role in achieving world peace and development. Sustainable.The research also discusses the controls that govern tolerance, and the means of its sustainability to ensure that it turns into a way of life and not just slogans, and devotes a study to the study of the Prophet's tolerance towards Muslims and non-Muslims, as one of the greatest historical models in this field.The research concluded that tolerance is an indispensable necessity in contemporary societies, as it enhances social unity, contributes to reducing conflicts, and supports economic development, and the research recommended the need to integrate the values of tolerance into educational curricula, strengthen the role of media and religious institutions in spreading a culture of tolerance, and develop legislation that protects pluralism, in addition to activating community initiatives that promote peaceful coexistence between individuals and peoples.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

Keywords: Peaceful coexistence, community unity, moderation in Islam, rejection of hatred, interfaith dialogue.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل التسامح قيمةً سامية من قيم الإنسانية، وركيزةً أساسيةً في بناء المجتمعات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، الذي جسّد في أقواله وأفعاله أسمى معاني التسامح والرحمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنَّ التسامح ليس مجرد خُلق فردي، بل هو منهج حياةٍ، ووسيلةٌ لتحقيق السلام والتعايش بين الأفراد والمجتمعات، فهو الجسر الذي يصل بين الشعوب، ويذيب حواجز الاختلاف، ويؤسس لعلاقات تقوم على الاحترام المتبادل والعدل.

ولقد جاء الإسلام برسالةٍ عالميةٍ تدعو إلى التسامح بمفهومه الشامل، سواءً في العلاقات الإنسانية أو في الجوانب الدينية والعرقية والاجتماعية، بل حتى في التعاملات الاقتصادية والدولية. ولقد تجلى هذا المبدأ العظيم في أبهى صوره في سيرة النبي ﷺ، الذي كان نموذجًا يحتذى به في تسامحه مع المسلمين وغير المسلمين على حد سواء.

وفي ضوء هذه الأهمية البالغة، يتناول هذا البحث مفهوم التسامح، ومرتكزاته في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأثره العميق في ترسيخ مبادئ التعايش السلمي، كما يسلط الضوء على مجالات التسامح المتعددة، من ديني وعرقي واجتماعي واقتصادي ودولي، مع بيان الضوابط التي تحكمه، والوسائل التي تكفل استدامته، ويخصص البحث مبحثًا مستقلًا لاستعراض مظاهر تسامح النبي ﷺ مع مختلف فئات المجتمع، ليكون هديه نبراسًا يُستضاء به في بناء واقعٍ أكثر إنسانية ورحمة.

وختامًا، فإن هذا البحث يسعى إلى إبراز دور التسامح في تحقيق وحدة المجتمع واستقراره، والوقوف عند أهم تجلياته التي تجعل منه ضرورةً لا غنى عنها في عالمٍ يموج بالصراعات والتحديات. سائلين الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا للقارئ، ومساهمًا في تعزيز ثقافة التسامح في مجتمعاتنا.

أهمية الموضوع:

يُعَدُّ التسامح قيمةً إنسانيةً جوهريةً تسهم في بناء مجتمعاتٍ متماسكةٍ ومزدهرة، فهو يُعزّز العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، ويُرسّخ الثقة المتبادلة بينهم، مما يؤدي إلى تنمية الأفكار البنّاءة والابتكار داخل المجتمع، وفي ظل التحديات العالمية المعاصرة، تبرز أهمية التسامح كقيمة أساسية لتحقيق التعايش السلمي

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

والتفاهم بين الثقافات المختلفة، مما يُسهم في بناء مجتمعات أكثر قوة وتماسكًا. من هذا المنطلق، تتجلى أهمية دراسة التسامح في فهم دوره المحوري في تعزيز السلام الاجتماعي، وبناء جسور التفاهم بين الأفراد، وتحقيق التنمية المستدامة للمجتمعات.

أسباب اختيار الموضوع:

يُعَدُّ اختيار موضوع التسامح في هذا البحث نابعًا من عدة أسباب جوهرية، تتنوع بين الذاتية والموضوعية، من أبرزها:

- الأهمية البالغة لتعزيز قيم التسامح في المجتمعات المعاصرة.
- الرغبة في ترسيخ قيم التسامح من منظور إسلامي.
- قلة الدراسات التي تتناول هذا الموضوع بعمق وشمولية.
- ارتباط الموضوع بتخصص الباحث المتعلق بالاجتهاد الشرعي في القضايا المستجدة.
- تقديم فهم معمق لمفهوم التسامح، وأثره في بناء مجتمع متماسك يسوده التعايش السلمي.

مشكلة الدراسة.

تُعالج هذه الدراسة مشكلة غياب التسامح في بعض المجتمعات المعاصرة، وما يترتب عليه من تصاعد للتطرف، والتعصّب، والصراعات الاجتماعية، ويُلاحظ أن النقص في انتهاج قيم التسامح يؤدي إلى تفكك النسيج الاجتماعي، ويُعيق بناء مجتمعات متماسكة ومستقرة، بالإضافة إلى ذلك، فإن غياب التسامح يُسهم في زيادة التوترات بين الأفراد والجماعات، مما يُؤثر سلبًا على التنمية المستدامة، والتعايش السلمي، ومن خلال هذه الدراسة، نسعى إلى تقديم فهم معمّق لمفهوم التسامح، وأثره في بناء مجتمع متماسك يسوده التعايش السلمي، نأمل أن يسهم هذا العمل في تعزيز قيم التسامح والاحترام المتبادل في مجتمعاتنا.

أسئلة الدراسة

- ما المفهوم الشامل للتسامح؟
- ما أهمية التسامح في بناء المجتمعات؟
- ما هي المجالات المختلفة للتسامح؟
- ما هي الضوابط والآليات التي تضمن استدامة التسامح؟
- كيف تجلى التسامح في سيرة النبيّ مع المسلمين وغير المسلمين؟

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الرئيسة التي تسهم في معالجة مشكلة غياب التسامح في المجتمعات المعاصرة، ومن أبرز هذه الأهداف:

- تقديم تعريف دقيق للتسامح من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، واستعراض مظاهره وتجلياته في مختلف المجالات.
- تسليط الضوء على دور التسامح في تعزيز التعايش السلمي، وتقوية النسيج الاجتماعي، ودعم التنمية المستدامة.
- دراسة تطبيقات التسامح في المجالات الدينية، والعرقية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدولية، وكيفية تحقيقه في كل من هذه المجالات.
- وضع معايير ووسائل لتعزيز ثقافة التسامح وضمان استمرارها في المجتمع.
- تقديم أمثلة من سيرة النبي ﷺ تُظهر كيفية تطبيقه لمبادئ التسامح في تعامله مع المسلمين وغير المسلمين.

منهج الدراسة:

لتحقيق أهداف هذه الدراسة المتعلقة بالتسامح اتبع الباحث منهجًا علميًّا يجمع بين المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي التحليلي:

١. المنهج الاستقرائي: يُستخدم هذا المنهج لتتبع النصوص الدينية، مثل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي تتناول مفهوم التسامح، من خلال جمع هذه النصوص، يمكن استنباط المبادئ والقيم المرتبطة بالتسامح في الإسلام .
٢. المنهج الوصفي التحليلي: بعد جمع النصوص والمعلومات، يتم تحليلها وصفيًّا لفهم معانيها ودلالاتها، ويشمل ذلك دراسة السياقات التاريخية، والاجتماعية للنصوص، وتفسيرها لفهم كيفية تطبيق مبادئ التسامح في مختلف المجالات.

الدراسات السابقة والإضافة العلمية:

دراسة بعنوان: التربية على التسامح مع الآخر، أسماء عفيف، ٢٠٢٠، كلية الآداب، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، حيث اعتمدت الباحثة على المنهج الأصولي التحليلي، وقسمت الدراسة إلى أربعة مباحث رئيسية، تناولت فيها مفهوم التسامح، وتقبّل الآخر، ودور المؤسسات في التربية على التسامح، وتطبيقات عملية لهذه التربية، وقد خلصت إلى أن التسامح يُعدّ من القيم الأساسية في الإسلام، ويشمل التسامح الديني والاجتماعي والثقافي، وتقبّل الآخر والتعايش السلمي معه من المبادئ الراسخة في العقيدة الإسلامية، وأنّ للمؤسسات المختلفة، مثل الأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام، دورًا محوريًّا في غرس وتعزيز قيمة التسامح لدى الأفراد، وقد

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

أوصت بتعزيز دور الأسرة في تعليم الأبناء قيم التسامح والاحترام المتبادل، وتضمين مناهج التعليم مواد تُعنى بالتسامح وتقبّل الآخر، وتفعيل دور المساجد في نشر خطب ومحاضرات تُركز على أهمية التسامح في الإسلام، وتشجيع وسائل الإعلام على إنتاج محتوى يُعزز من قيم التسامح والتعايش السلمي (عفيف، ٢٠٢٠، ٦٨٦).

دراسة بعنوان: (**التسامح الفكري في الإسلام، مصطفى، ٢٠٢٠**) يسلط فيها الضوء على أهميته كفضيلة أخلاقية تؤدي إلى إزالة الأحقاد وتعزيز الروابط الاجتماعية، وكان من أبرز نتائجها أنّ التسامح في الإسلام يشمل العفو والصفح، وهو فضيلة أخلاقية تؤدي إلى تعزيز الروابط الاجتماعية وإزالة الأحقاد، وأنّه يُعتبر وسيلة لنيل مرضاة الله وسببًا للتقوى، وقد أوصت بتعزيز ثقافة التسامح الفكري في المجتمعات الإسلامية من خلال التعليم والتوعية، وتشجيع الأفراد على ممارسة العفو والصفح في حياتهم اليومية لتعزيز الروابط الاجتماعية، والاستفادة من النصوص الدينية التي تحث على التسامح في الخطاب الديني والإعلامي (راشد، ٢٠٢٠، ٢٠).

دراسة بعنوان: (**التسامح في الفكر الإسلامي: منهج حضاري وثقافي" نزار خزعل، ٢٠٢٤**) تناول فيها مفهوم التسامح كقيمة حضارية وثقافية جوهرية في الإسلام، وتوضح كيف يُشكّل أساسًا للتعايش الاجتماعي والارتقاء بالحضارة، وقد توصلت إلى أن الفكر الإسلامي يعد ركيزة أساسية لتوجيه وعي المجتمع نحو النهج الصحيح، حيث يمثل نتاج العمل العقلي الذي يخدم الإسلام ويُوضح مبادئه، كما أكدت على أن التسامح أحد صفات الدين الإسلامي ومكوناته الجوهرية، يستند إلى مبدأ الأخوة الشاملة الذي يعزز حضارتنا من خلال إقامة روابط إخاء تقوم على العدل والرحمة والمساواة، وفي زمن تتصاعد فيه العصبيات والعنف، تبرز الحاجة الماسة لترسيخ روح التسامح والعدالة كضمان لاستمرار الخير والتعاون بين الشعوب (إسماعيل، ٢٠٢٤، ٦٧).

تختلف دراستي عن الدراسات السابقة في عدة جوانب مميزة؛ إذ تتميز بشمولية وتكامُل الطرح الذي يجمع بين الجانب النظري، والتحليلي، والعملي لمفهوم التسامح في الإسلام، فمن خلال تناولها للتعاريف اللغوية والاصطلاحية، واستعراضها للنصوص القرآنية والسُّنَّة النبوية في موضوع التسامح، تضع الدراسة أساسًا متينًا لفهم هذه القيمة الدينية الجوهرية، كما أنها تتعمق في تحليل مظاهر التسامح وآثاره وأهميته، وتوسّع نطاقها ليشمل مختلف مجالات التسامح (الديني، العرقي، الاجتماعي، الاقتصادي، والدولي)، بالإضافة إلى دراسة ضوابطه ووسائل استدامته، علاوة على ذلك، يكتسب البحث قيمة إضافية من خلال تسليط الضوء على نموذج تسامح النبي ﷺ مع المسلمين وغير المسلمين، مما يوفر رؤية متكاملة تربط

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

بين المفاهيم الدينية والممارسات المجتمعية الحديثة، ويسهم بذلك في سد فجوة البحث في هذا المجال.

المبحث الأول: مفهوم التسامح، أهميّته ومظاهره.

التسامح هو القدرة على قبول وتقدير الاختلافات بين الناس، سواء كانت هذه الاختلافات في الدين، أو العرق، أو الثقافة، أو الآراء والأفكار؛ وفيما يلي سوف يتم تناوله من حيث المفهوم، والأهميّة، والمظاهر التي يتحلى بها.

المطلب الأول: المفهوم اللغوي والاصطلاحي.

أُخِذ مصطلح التسامح من السماح والسماحة، ومع تتبع الاستعمال اللغويّ نجد أن العرب استعملته في أكثر من معني: فأول هذه المعاني (الجود): وهو أكثر المعاني التي توارث عليها المعاجم؛ يقول ابن منظور: السماح والسماحة والجود، حيث يستخدم مصطلح سمح وأسمح إذا أعطي عن كرم وسخاء" (ابن منظور، ١٤١٤ه، ٤٨٩)، أمّا المعني الثاني فهو: (المتابعة والانقياد) كما في قول الازهري في التهذيب: "وسمحت الناقه في سيرها إذا انقادت وأسرعت" (ابن الأزهري، ٢٠١١م، ٤٨)، وقد جاءت بمعنى: المساهلة، وجاء ذلك في قول الجوهري في الصحاح: "المسامحة: المساهلة وتسامحوا: تساهلوا...والتسميح: السير السهل" (الرازي، ١٩٩٩م، ٣٢٩) ويقول الزبيدي في تاج العروس: "والمساهلة: كالمسامحة فهما متقاربان وزنًا ومعنًي" (مرتضى الزبيدي، ١٩٦٥م، ٤٨٦) ومن المعاني: (الموافقة على المطلوب)، قال ابن سيده في المحكم: "وسامح: وافقني على المطلوب (ابن سيده، ٢٠٠٠م، ٤٨٨).

فتلك المعاني الأربعة متقاربة، تدل على العفو، الصفح، والسهولة، وهو المعني الذي يدل عليه التسامح الذي ينتج عنه المرونة في التعامل مع الآخرين؛ ويتضح ذلك في استنباط ابن فارس اللغوي بعد تأمله المعاني الأربعة حيث قال: "سمح" السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهوله (ابن فارس، ١٩٧٩م، ٤٥٤).

وبالرغم من أنّ مصطلح التسامح قد انتشر بشكل واسع بين الفئات المختلفة، ولكن تظل دلالته غير متفق عليها، ولعل أسباب ذلك هو: عدم ورود الكلمة بنصها في القرآن الكريم، مع وجود ما يشير إليها، ومنها عدم وضوح دلالته من ثقافة إلى أخرى، كما أنّ المتقدّمين لم يتطرقوا له كمصطلح واضح الدلالة لديهم، ولعله من خلال تتبع ذكره في مصادر التراث الإسلامي يمكن الوقوف على دلالة واضحة له. (الدرعي، ٢٠٢٠م، ٣٤٣).

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

ومن خلال ما تقدّم فالمفهوم الاصطلاحي الأقرب هو: تقبل الآخرين، واحترام حقوقهم في الاختلاف، والقدرة على التآلف والتعايش السلمي بين جميع البشر على اختلاف أعراقهم ومعتقداتهم.

المطلب الثاني: التسامح في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

لا جدال إلى أنّ التّسامح يتطلب أسمى الصفات الكريمة من التواضع وحسن المعاملة، ونظرًا إلى أنّ القرآن الكريم يمثل المرجع الديني الأكثر اهتمامًا، وعناية بالنّفس للبشرية، فإنّ مفهوم التسامح حاضر بشكل كبير في القرآن الكريم، وفي ثنايا آياته على الرغم من خلوه من المصطلح ذاته بشكل صريح؛ ومع ذلك فمن خلال بعض الآيات الكريمة يتضح مفهوم التسامح في القرآن الكريم، ففي قوله تعالي: ﴿وأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ولَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: [٢٣٧]، دعوة إلى العفو، وحسن التعامل، وعدم نسيان الإحسان، ورحمة الآخرين وتقديرهم، وبالنظر الي أقوال المفسرين فالآية قد تضمنت جميع مكارم الأخلاق، وجمعت قواعد البشرية أمرا ونهيا (القرطبي، ١٩٦٤م، ٣٤٤)، وكذلك الدعوة إلى العفو والمغفرة في قوله تعالى: ﴿فاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾ البقرة: [١٠٩].

كما أمر القرآن الكريم بالحسني ومقابلة الإساءة بالإحسان؛ وعدها سببًا للمحبة والولاء، قال تعالي: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت:[٣٤]، وجعل الرحمة واللين والرفق سببًا لمحبة النبي، والإقبال عليه، وقبول دعوته؛ قال تعالى واصفًا نبيّه: ﴿بِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران: [١٥٩]، ومن أسمى قيم التسامح التي أكّد على القرآن الكريم، قيمة العفو عن القدرة ووصفها بالصفح الجميل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ الحجر: [٨٥]

ولقد تضمنت السنة النبوية المطهرة أيضًا كثيرًا من الأحاديث التي تضمّنت مفهوم التسامح كما جاء في حديث ابن عباس رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **" أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ"** (ابن منظور، ١٤١٤ه، ٤٨٩) بمعنى: أي الشريعة السهلة في العمل (ابن حنبل، ١٩٩٥م، ١٧) ومن ذلك ما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع :إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: **" مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ"** (البخاري، ١٩٩٣م، ٢٢٣٥).

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

المطلب الثالث: المفهوم الحديث للتسامح

بعد التطرق فيما سبق لمحاولة فهم مصطلح التسامح وفهم معانيه لغويًّا، يمكن التطرق إلى فهم المعاصرين لمفهوم التسامح، ومن أهم هؤلاء المعاصرين الشيخ الطاهر ابن عاشور حيث قال: "وأصل السماحة: السهولة في المخالطة والمعاشرة، وهي لين في الطبع في مظان تكثر في أمثالها الشدة" (ابن عاشور، ٢٠١١م، ٢٦٩)، ولقد قام مجمع اللغة العربية بتعريف مصطلح التسامح بأنه: "سعة صدر تفسح للآخرين أن يعبرُّوا عن آرائهم ولو لم تكن موضوع تسليم أو قبول، ولا يحاول صاحبه فرض آرائه الخاصة على الآخرين" (مجمع اللغة العربية، ١٩٨٣م، ٤٤).

ومن التعريفات المعاصرة تعريف اليونسكو بأنّه: "احترام الآخرين وحرياتهم، والاعتراف بالاختلافات بين الأفراد، والقبول بها، والتسامح هو تقدير التنوع الثقافي، وهو الانفتاح على الأفكار والفلسفات الأخرى بدافع الاطلاع، وعدم رفض ما هو غير معروف، وأريد بالتسامح أيضًا: إبداء السماحة للمخالفين للمسلمين من جهة الدين، احترام دينهم، وتقدير ثقافتهم، والانفتاح عليهم" (ابن عاشور، ١٩٨٥م، ٢٦٦)؛ ومن خلال ما تقدّم فالتسامح عبارة عن إظهار التسامح للمخالفين في الدين، واحترام دياناتهم، ومعتقداتهم، وتنوعهم الثقافي، والتعايش معهم في إطار من الودّ والاحترام المتبادل.

المطلب الرابع: أهمية التسامح.

إن التسامح من الأخلاق الرفيعة التي قد يتسم بها الإنسان، فمن اتّسم بالتّسامح فقد اتّسم بأعلى درجات مكارم الأخلاق، والتّسامح قد يفضّ أيّ نوع من النّزاعات بين البشر، فهو أمر ربانيّ ومطلب دينيّ حث عليه القرآن الكريم في مواضع عدّة، وقد جاء الإسلام بالحب والتسامح، والصفح، وحسن التعايش مع كافة البشر، وترسيخ أسس هذا الفكر العظيم؛ ليكون وحدة متينة من الأخلاق الراقية.

وتكمن أهمية التسامح أيضًا في أنّه أساس لبناء مجتمع مزدهر ومستقر، ومن خلال تعزيز التسامح، يمكننا تحقيق السلام الاجتماعي، وتعزيز الوحدة والتماسك الاجتماعي، وتحسين الصحة النفسية، وتعزيز العلاقات الإنسانيّة، وتحقيق التنمية الاقتصاديّة، وتعزيز السّلم والأمن الدوليين، ونشر القيم الدينيّة والأخلاقيّة. فالتسامح ليس فقط قيمة اجتماعية، بل هو أسلوب حياة يُسهم في رفاهية الفرد والمجتمع بشكل عام.

وقد جاءت كثير من النصوص الدينية والأحاديث النبوية ترسّخ أهمية التسامح، ومنها: قوله تعالى: ﴿خُذ العفو وأْمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الجَاهلين﴾

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

الأعراف: [١٩٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ الحجر: [٨٥]، ومن أكثر آيات القرآن الكريم دلالة على أهمية التسامح، قوله تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ص: [١١٤]. فتلك الآيات الكريمة تدعو إلى أهمية التسامح، وأنه ضرورة إنسانية لابد أن تكون قائمة بين سائر البشر، فالإسلام رسّخ بين أبنائه التّسامح حتى في إلقاء التحية جعلها السلام بين كافّة البشر؛ وذلك لترسيخ المحبة والأخوة بين الجميع.

المطلب الخامس: مظاهر التسامح.

إنّ للتسامح آثارًا عظيمة في توطيد علاقة التعاون والسلام في شتى المجتمعات، فالتسامح يضفي على المجتمعات الاستقرار والسلام، وترسيخ قيم المحبة والاطمئنان بين شتي البشر، فبالتسامح تبنى مجتمعات أكثر استقرارًا وأماناً؛ فلذلك حثّ الإسلام على نشر ثقافة التسامح. يقول الشيخ عبد الله بن بيّه: "السلم بيّنة الحب، والسعادة، والانتماء، وهو قبل كل شيء مصالحة مع الذات قبل أن يكون مصالحة مع الغير، إنه قيم ونعم لا يدركها إلا من ذاق الحرب" (الدرعي، ٢٠٢٠م، ٣٤٣).

وهذا ما ذهب إليه (سبينوزا) عندما قال: "ليس السلم عدم الحرب، وإنما السلم اتحاد الأرواح، واتحاد الأرواح يعنى اعتماد قيم راسخة تمثل السلم الاجتماعي" (ابن بيّه، ٢٠١٤م، ٣٥) فلن تنعم البشرية بسلام دون تسامح؛ وهذا ما تدعو به كافة الدول إلى إقامة سلام دائم ومشترك بين الدول، ولقد جاء الإسلام بنصوص تدعو البشرية لأكثر من ذلك، فلقد دعا إلى ترسيخ روح المحبة، والتعايش بين البشر كافة، ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة: [٨].

فلقد ضرب لنا القرآن الكريم أروع الأمثال في التسامح، الصفح والعدل وعدم التعدي على حرية الآخرين، ومعتقداتهم حتى مع اختلاف عقائدهم الدينية، وهذا ما قد دعا إليه القرآن الكريم في العديد من الآيات الكريمة، ففي قوله تعالي: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت: [٣٤]. لقد اتضح حرص القرآن الكريم على ترسيخ أسس السلام والتعايش بين كافة البشر، وأن يحمل الإنسان نفسه على رد الإساءة بالإحسان، مما يحول العداوة إلى محبة وإخوة.

إن أثر التسامح يظهر في كيفية التعامل مع المخالف؛ فلا تكتمل الإنسانية إلا بفعل الفضائل والمحبة الصادقة، وإذا نظرنا إلى منهج العلاقات الدولية القائمة في الإسلام نجدها قائمة علي منهج الاستقرار والأمان، قال الله تعالي: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾ الأنفال: [61]، فما جاء الإسلام إلا لترسيخ السلام لا الحرب؛ يقول أبو زهرة: "إن الإسلام ما جاء للحرب، بل جاء

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

للسلام"، ومن الآيات الدالة على ذلك أيضًا، قوله تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ النساء: [٩٤] ففي هذه الآية الكريمة نداء واضح للسلام، وأمر للتحقق والتأكد، في قوله: "فَتَبَيَّنُواْ".

وما حارب النبي ﷺ غير المسلمين إلا لتأييد السلام، وتحقيق العدل المطلق، فالإسلام حثّ أبناءه على نبذ الكراهية، ونشر المحبة والسلام حتى بين خصومه؛ يتجلى في قوله تعالي:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: [١٣]

وكان أيضا للنبي ﷺ مواقف رائعة في التسامح حتى مع خصوم الإسلام، ونذكر من تلك المواقف موقفه ﷺ مع الترك وأهل الحبشة، حين قال: **" دَعُوا الحَبَشَةَ مَا وَدَعُوكُمْ، وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ"**، وهنا إشارة واضحة إلى عدم التعرض لقتالهم طالما أنّ هاتين الأمتين لم يتعرضا للمسلمين، وهذا دليل واضح علي الدعوة إلى التسامح، وفي قول المناوي: "دعوا الحبشة" أي اتركوا التعرض لهم ولا تبدؤوهم بالقتال، "ما ودعوكم" يعني ما وادعوكم أي سالموكم... "واتركوا الترك ما تركوكم" أي: مدة تركهم لكم فلا تتعرضوا لهم إلا إن تعرضوا لكم" (المناوي، ١٩٨٨م، ٨).

وهذا إنّما يدل على أنّه لا لجوء للحرب إلا عند الضرورة، وأنّ السلام والحرب هما الغاية؛ ويقول وهبة الزحيلي: "أما الحرب في الإسلام، فهي مشروعة لذاتها... والسلم هو أساس العلاقات الدولية في الإسلام، ولكن ليس معناه إلقاء السلاح وسبات الأمه" (الزحيلي، ١٩٩٨م، ١٤٠) وكما يتّضح في هذا المطلب فإنّ التسامح والسلام غريزة إنسانية، وأن تجليات التسامح هو السبيل لتحقيق الترابط، الاستقرار والسلام بين المجتمعات.

المبحث الثاني: مجالات التسامح.

إنّ التسامح ليس مقتصرًا على الجانب الديني فقط، بل يمتد ليشمل مختلف جوانب الحياة الإنسانية والاجتماعية، حيث يمكن تصنيف مجالات التسامح إلى عدة أنواع، كل منها يساهم في تعزيز السلم الاجتماعي والتعايش بين الأفراد، ومن أبرز هذه المجالات:

المطلب الأول: التسامح الديني:

التسامح الديني هو قبول واحترام تنوع المعتقدات الدينية والممارسات الدينيّة المختلفة بين الناس، دون تعصب أو تمييز، هذا المفهوم يرتكز على الاعتراف بحق كل فرد في اختيار دينه وممارسته بحرية، والتعايش السلمي بين أتباع الديانات

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

المختلفة، فالتسامح الديني ليس مجرد عدم التعدي على حقوق الآخرين، بل يتضمن أيضًا الاحترام المتبادل، والتعاون والتفاعل الإيجابي بين أتباع الديانات المختلفة، وقد أظهر دين الإسلام تسامحًا واضحًا مع المسلمين في أمور الاعتقاد، والعبادات، والمعاملات، على النحو التالي:

(١) التسامح في الاعتقاد

لقد ترك الإسلام للمرء حرية اختيار المعتقد، فلا يتمّ إجبار أحد على الدخول في الدّين، ويستدل على ذلك في قوله تعالي: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: [٢٥٦]. وقوله تعالي أيضا: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون: [٦]. وهنا بيان واضح على ألا يجبر أحد على عقيدة، ومن هنا تظهر قيمة التسامح الديني في نبذ التعصب، وأن الإسلام دين سلم وسلام، فلا لإكراه لأحد على اعتناقه، وتكون الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

(٢) التسامح في العبادات

من التسامح الديني التسامح في العبادات، ويقصد به الرحمة والتخفيف عن العباد، ومراعاة أحوالهم، ومن مظاهره، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ النساء: [٤٣]، وفي الآية تظهر سماحة الإسلام لمن يفتقد وجود الماء أن يتيمّم، فقد أراد الله التخفيف عن عباده؛ حيث أنّه خلقهم ويعرف ضعفهم فيستمروا في أداء الصلاة دونما انقطاع.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ الأنعام: [١١٩]، فقد سمح لرفع الضرر لمن يوشك على الهلاك أن يأكل الميتة، حيث دعت الضرورة إلى ذلك؛ وهذا من سماحة الدين.

ومن يسر الشريعة أن خفّف الله عنّا الصلاة، وشرع لنا القصر في الصلاة الرباعية في الظهر والعصر والعشاء، وهذا سماحة الإسلام ويسر شريعته، ومن خطبه ﷺ التي ورد فيها التسامح في العبادات، ما جاء عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **" أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا" فَقَالَ رَجُلٌ : "أَكُلَّ عَامٍ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ "فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ"** (النيسابوري، ١٩٥٥م، ٩٥٧) فمن رحمة الله تعالى بنا،

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

وسماحة ديننا أن فرض علينا الحج مرة واحدة في العمر، ولو كان كلّ عام لشق ذلك علينا، ولم نستطع.

(٣) التسامح في المعاملات

حث الإسلام على التسامح بين النّاس في المعاملات ورتّب على ذلك الاجر والثواب؛ وهنا نماذج كثيرة وردت في المسامحة بين النّاس، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة: [١٧٨]، فقد خيّر الله صاحب الحق في القصاص بين القصاص، أو الدّيّة، أو العفو، وهذا سماحة الإسلام يسر شريعته.

ومن التسامح ما جاء في المسامحة بين المتخاصمين، والظالمين والمظلومين قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الشورى: [٤٠] ، فقد أعطى الله الحق للمظلوم أن يأخذ حقّه مقابل السيّئة بمثلها، ثمّ ما لبث أن رغّب في العفو والصلح ومنح الذي يعفو منهم الأجر والثّواب.

ومنه ما جاء في شأن من أكره على الكفر من المسلمين في قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل: [١٠٦]، فقد سامح الله من أكره على قول كلمة الكفر بلسانه؛ لينجو من عدوّه، بأنه لا ذنب عليه، طالما أنّ الإيمان يملأ قلبه.

ومنه ما جاء في التسامح بين الرجل وامرأته إذا طلقها، قوله تعالى: ﴿إِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة: [٢٣٧]، فقد رغب الله في العفو من الطرفين، وهو قمة الإحسان والمسامحة، ولا ينسيا فضل كل منهما على الآخر، وما كان بينهما من معروف.

وأكّد النبيّ ﷺ على فضل كظم الغيظ، والتحكّم في مشاعره، وانفعالاته في الغضب، ومسامحة الآخرين على ما يبدر منهم من سوء التصرّف؛ قال رسول الله ﷺ: **" مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الحُورِ العِينِ شَاءَ"** (الشيباني، ٢٠٠١م، ٣٩٨)، فليس بالأمر الهيّن أن يكظم المرء غيظه، حيث لا يستطيع ذلك إلا الأقوياء الذين توافرت لديهم صفات التسامح والرحمة والعفو.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

المطلب الثاني: التسامح العرقي.

التسامح العِرقي هو قبول واحترام التنوع العرقي بين الناس، ونبذ التمييز على أساس العرق أو اللون، أو الأصل القومي؛ ويهدف التسامح العرقي إلى بناء مجتمعات متماسكة ومتعايشة، حيث يتمتع جميع الأفراد بفرص متساوية، ويتم التعامل معهم بكرامة واحترام، بغض النظر عن خلفياتهم العرقية.

وإنّ الإسلام باعتباره دينًا عالميًّا شاملًا فهو يدعو إلى التسامح العرقي، ويؤكد على المساواة بين جميع البشر بغض النظر عن عرقهم، أو لونهم, أو أصلهم، وهذا المبدأ يتجسّد في العديد من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ النساء: [١]، وهذا يوضّح أن الجميع متساوون في الأصل والخِلقة، وقد أمرنا الله في محكم التنزيل بالتسامح مع كافّة الأعراق، والأجناس البشرية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: [١٣]، فالنّاس وإن اختلفت أجناسهم وألوانهم فأصلهم واحد، وما جعل الله ذلك للخصومة والتناحر، وإنّما للتعارف والسلام، والجميع مكلّف للنهوض بالتكاليف وما فرضه الله عليهم، لا فضل لجنس ولا عرق فضل على الآخر، فالجميع سواسية، ومعيار التفاضل الوحيد بين تلك الأعراق هي التقوى والعمل الصالح "إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

وأكّد نبيّ الرحمة ﷺ على ذلك في خطبته المأثورة خطبة الوداع بقوله: **"أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ. أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ."** قَالُوا: نَعَمْ .قَالَ: **"فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ."** (شوقي ضيف، ١٩٨٥م، ٥٢)، فالتنوّع والاختلاف بين النّاس سنّة الله في خلقه، ولا فرق بين العربيّ وغير العربيّ، فكلهم عند الله سواء ومقياس التمايز هو التقوى.

لقد كان سلمان الفارسي صحابيًّا من أصل فارسي، ورغم أنّ أصله غير عربي، فقد قال النبي ﷺ عنه: **" سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ"** (ابن سعد، ١٩٩٠م، ٦٢) وكان بلال بن رباح مؤذن النبي ﷺ من أصل حبشيّ، وكان له مكانة عالية لدى النبي ﷺ وصحابته، مما يعكس المساواة بين الصحابة بغض النظر عن أصولهم، ويؤكد على تقدير النبي لأصحابه بغض النظر عن أعراقهم، وقد كان المسلمون يعيشون في مجتمع المدينة، من خلفيات عرقيّة، وقبليّة متنوعة، وقد أدار النبي هذا التنوع بحكمة وعدالة، مما أدى إلى بناء مجتمع متماسك ومستقر.

وكل ذلك من أجل نشر روح المحبّة، والتآلف بين الناس في المجتمع في ظل

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

لواء التقوى، فلا عصبيّة، ولا قبليّة، أو قوميّة، مهما تزينت، او تسمّت بشتى الأسماء؛ حيث جاء الإسلام دين التسامح ليقيم نظامًا إنسانيًّا عالميًّا يسوده التسامح والمحبة والإخاء.

المطلب الثالث: التسامح الاجتماعي

التسامح الاجتماعي قيمة أساسية في بناء المجتمعات المتماسكة والمزدهرة، وهو يعبر عن القدرة على قبول الآخرين بغض النظر عن اختلافهم في الثقافة، أو الاعتقادات، أو السلوكيات، ويعتبر التسامح الاجتماعي مفتاحًا للتعايش السلمي، والتفاهم بين أفراد المجتمع، ويشكل أساسًا للسلام الداخلي والتقدم الاجتماعي.

لقد رسّخ التسامح الاجتماعي روح المحبة، والأمانة، ونبذ الكراهية، والتعصب؛ قال تعالي في محكم الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الحجرات:[١١] وقوله تعالي: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: [١٠٩].

وإذا تطرقنا لحياة النبي ﷺ من خلال حسن جيرته، وتعايشه مع اليهود والنصارى؛ نجده يضرب لنا أروع الأمثلة في التسامح الاجتماعي حيث كان ﷺ يزور اليهودي أو النصراني إذا مرض أحدهم، وكان يتعامل معهم في البيع والشراء والاقتراض؛ من ذلك قصة النبي ﷺ مع جاره اليهودي حيث كان يحاول أن يؤذي النبي ﷺ؛ ولكن لم يستطع أن يفعل ذلك عيانًا؛ خوفًا من بطش أصحاب النبي ﷺ، فما كان أمامه إلا الليل والناس نيام، كان يأخذ الأشواك والقاذورات ويرمي بها عند بيت النبي ﷺ، وإذا خرج الرسول من بيته، وجدها أمامه فيبتسم ﷺ، ويعرف أن الفاعل جاره اليهودي فيقوم بإزاحتها عن باب منزله، وكأن شيئًا لم يكن، ويظل النبي ﷺ علي خلقه الكريم مع جاره اليهودي برحمة ورفق، ولا يقابل إساءته بالإساءة، و مع ذلك لم يتوقف اليهودي عن عادته حتي جاءته حمّى خبيثة، فظل ملازمًا الفراش يعتصر ألمًا من الحمى حتي كادت أن بحياته.

وبينما كان اليهودي بداره إذ سمع صوت النبي ﷺ يطرق الباب يستأذن في الدخول، فأذن له اليهودي، فدخل ﷺ على جاره اليهودي فعاده، ورجا له من الله الشفاء، فسأل اليهودي الرسول ﷺ: وما أدراك يا محمد أني مريض؟ فضحك الرسول ﷺ، وقال له: " **عَادَتْكَ الَّتِي انْقَطَعَتْ**"، يقصد نبينا الكريم القاذورات التي يرميها أمام بابه، فتأثر اليهودي من هذا الموقف، وبكى؛ ندمًا على فعلته، وأدرك مدى تسامح

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

النبيّ ﷺ وسعة صدره، وأن هذا الخلق لا يكون إلا من نبي متسامح كريم، فنطق بالشهادتين ودخل الإسلام (الغامدي، ٢٠١٠م، غير منشورة).

ويقوم التسامح الاجتماعي على عدد من المبادئ، منها: احترام الاختلاف، الذي يتمثّل في قبول الآخرين بما يميزهم من تفاوت في الثقافة والعقائد والعادات والسلوكيات، وعدم المساس بحقوقهم بسبب هذه الاختلافات، وكذلك التفاهم والتعاون، حيث يشجع التسامح الاجتماعي على بناء جسور التواصل وتعزيز التفاهم بين الناس، وتعزيز العمل المشترك لتحقيق الفائدة المشتركة، كما يتطلب التسامح الاجتماعي ضمان المساواة في الحقوق والفرص لجميع أفراد المجتمع، دون تمييز، أو تفضيل بسبب العرق، أو الجنس، أو الدين، أو أيّ سمة شخصية أخرى (اليونسكو، ١٩٩٥م، الرابط: https://hrlibrary.umn.edu/arab/tolerance.html).

وتكمن أهمية التسامح الاجتماعي في أنّه يسهم في خلق بيئة متسامحة، مليئة بالتفاهم بين أفراد المجتمع؛ مما يقلل من الصراعات ويعزز السلام الداخلي، ويعزّز العمل المشترك والتعاون في المجتمع، ويسهم في تحقيق التنمية والتقدم الاجتماعي والاقتصادي، كما يساعد في تعزيز الانتماء الوطني، وبناء الهوية الوطنية، حيث يجمع الناس على أساس قيم مشتركة من التسامح والاحترام المتبادل، بالإضافة إلى أنّه يعمل على تقليل مظاهر العنف والتطرف في المجتمع، من خلال تعزيز الحوار والتفاهم بين أفراده.

ومن أجل تعزيز التّسامح الاجتماعي ينبغي تعزيز الوعي والتثقيف من خلال توفير برامج توعية وتثقيف حول أهمية التسامح الاجتماعي وكيفية تطبيقه في الحياة اليومية، ووضع قوانين وسياسات تعزز التسامح الاجتماعي وتكافح التمييز، والانقسامات في المجتمع، وتنظيم فعاليات وأنشطة تجمع بين أفراد المجتمع من مختلف الخلفّيات لتعزيز التواصل والتفاهم، وتشجيع المبادرات المجتمعية التي تعمل على تعزيز التسامح الاجتماعي، وتحقيق التضامن والتعاون بين أفراد المجتمع.

وخلاصة القول فالتسامح الاجتماعي هو أحد القيم الأساسية التي تساهم في بناء مجتمع متسامح ومتماسك، ويساعد على تحقيق التعايش السلمي والتفاهم بين أفراد المجتمع، مما يعزز السلام الداخلي والتقدم الاجتماعي، ومن خلاله يمكن للمجتمعات أن تتعايش بسلام وتتعاون في بناء مستقبل أفضل للجميع.

المطلب الرابع: التسامح الاقتصادي.

إنّ التسامح الاقتصادي مفهوم يشير إلى القدرة على تقبل الاختلافات الاقتصادية بين الأفراد والمجتمعات، والعمل بروح من التعاون والتفاهم؛ لتحقيق الرخاء والازدهار للجميع، ويتضمن التسامح الاقتصادي القبول بأن هناك تباينًا في

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

الثروات والدخول بين الأفراد والمجتمعات، وعدم استخدام القوة، أو التمييز لمعالجة هذه الفجوات الاقتصادية.

وتقوم مبادئ التسامح الاقتصادي على تحقيق العدالة، والمساواة في فرص الحصول على الدخل والثروة، وضمان أن يتمتع الجميع بالفرص الضرورية للنجاح والازدهار، واستعداد المجتمعات للتعاون والتضامن في مواجهة التحديات الاقتصادية، وتقديم الدعم والمساعدة للأفراد والمجتمعات الأكثر احتياجًا (Sen, 2000, N/A).

ويهدف التسامح الاقتصادي إلى تحقيق التنمية المستدامة، وذلك من خلال استخدام الموارد بشكل فعال ومسؤول، وضمان توفير الاحتياجات الأساسية للأفراد دون التأثير السلبي على البيئة والمستقبل، كما يساعد التسامح الاقتصادي على خلق بيئة استقرار اقتصادي تشجع على الاستثمار، والنمو الاقتصادي المستدام.

ومن خلال تحقيق التوزيع العادل للثروات والدخل، يمكن للتسامح الاقتصادي أن يقلل من التوترات الاجتماعية، ويعزز السلم الداخلي، كما يسهم في بناء ثقافة التعاون والتضامن بين الأفراد والمجتمعات في مواجهة التحديات الاقتصادية.

ويمكن القول إنّ العلاقات الاقتصادية ترسخ أسس التسامح بين الأفراد، فقد لا يتمكن الإنسان من سداد دين ما، أو القدرة على شراء ما يلزمه من سلع بسبب ضعف القدرة الماديّة لديه، ومن هنا تنتج العلاقات الاقتصاديّة بين الأفراد مما قد يتطلب حدوث عمليّات الاقتراض، وقد لا يستطيع الفرد الوفاء بالسّداد، ومن هنا تظهر قيمة التسامح الاقتصادي بين الأشخاص في العفو عمّن عجز علي الوفاء بإمهاله فترة زمنية أخرى.

ولقد وردت آيات في القرآن الكريم تتجلي فيها قيمة وأهمية التسامح الاقتصادي، كما في قوله تعالي: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: [٢٨٠]، وهذا مبدأ عظيم من مبادئ التسامح حين يمهل الدائن المدين المعسر حتى يستطيع الوفاء بدينه، فلا يحمّله فوق طاقته، ولا يطالبه بما لا يقدر عليه، مما ينعكس على أفراد المجتمع بالرحمة والأمان، فيعيش المرء حرًّا كريمًا.

وفي قول النبي ﷺ " **رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى**" (البخاري، ١٩٩٣م، ٧٣٠) مبدأ لا يقلّ أهميّة في ترسيخ التسامح الاقتصادي في البيع، والشراء، والقضاء، ويعد المرء الذي يفعل ذلك أنموذجًا إسلاميًّا كبيرًا،

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

يعكس صورة المسلم المتسامح الحريص حسن المعاملات الاقتصاديّة والاستثمار، فالمؤمن سهل ليّن يُؤْثر الخير، ويحسن الظنّ بدون تنازل عن حقوقه وكرامته.

باختصار، يمكن القول إن التسامح الاقتصادي يلعب دورًا حيويًّا في تحسين جودة حياة الأفراد والمجتمعات وتحقيق الازدهار الشامل.

المطلب الخامس: التسامح بين الدول.

إنّ التسامح بين الدول يشير إلى القدرة على قبول الاختلافات، والتعايش بسلام بين الدول، بغض النظر عن الاختلافات الدينية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية، ويعتبر التسامح بين الدول أساسًا للسلام والاستقرار الدولي، حيث يعزز التفاهم والتعاون الدولي ويقلل من حدوث الصراعات والحروب.

تتجلي أهمية هذا النوع من التسامح في قدرة المجتمعات على التعايش، والاحترام، وحرية تبادل الآراء، كما يعد التسامح الدولي أحد الأسس الرئيسية لتحقيق الديمقراطية بين الدول والشعوب، حيث يضمن للأفراد حقوقهم في إبداء آرائهم وحرية التعبير عنها، قال تعالى: " لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" الممتحنة: [٨] وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" المائدة: [٨].

ومنها ما ورد عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: **"مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَد مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"** (البخاري، ١٩٩٣، ١١٥٥)، وهذا ما تدعو إليه كافة الدول وهو إقامة سلام دائم ومشترك بين الدول، ولقد جاء الإسلام بنصوص تدعو البشرية لأكثر من ذلك، فلقد دعا إلى ترسيخ روح المحبة والتعايش بين البشر كافة، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة: [٨].

وتكمن أهمية التسامح بين الدول في أنّه يساهم في تحقيق السلام الدائم والاستقرار الدولي، حيث يعمل على تقليل التوترات، والصراعات بين الدول، وتعزيز التفاهم، وحل النّزاعات بطرق سلميّة، كما يعمل على تعزيز التعاون الدولي في مجالات متعددة مثل التجارة، والاقتصاد، والبيئة، والتنمية، مما يعزز التنمية المستدامة، ورفاهية الشعوب، بالإضافة إلى أنّه

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

يسـهم فـي خلـق بيئـة اسـتقرار اقتصـاديّ تشـجع علـى الاسـتثمار، والنمـو الاقتصـادي المسـتدام، ممـا يعـود بالفائـدة علـى جميـع الـدول المشـاركة، ومـن خـلال تعزيـز التعـاون والتفـاهم بـين الـدول، يمكـن تقليـل خطـر التطـرف، والإرهاب الذي يهدد السلم والأمن الدوليين.

ومـن أجـل تعزيـز التسـامح بـين الـدول يجـب تشـجيع الحـوار والتفـاهم بـين الـدول مـن خـلال المـؤتمرات، والقمـم الدوليـة، والاتصـالات الدبلوماسـية، كمـا يجـب تعزيـز العلاقـات الثنائيـة، والمتعـددة الأطـراف بـين الـدول مـن خـلال التبـادل الثقـافي، والاقتصـادي، والعلمـي، والتقنـي، وتشـجيع التعـاون الإقليمـي، والدولي في مختلف المجالات مثل: الأمن، والاقتصاد، والتنمية، والبيئة.

بشـكل عـام، يعـد التسـامح بـين الـدول أحـد الأسـس لبنـاء عـالم أكثـر سـلامًا واسـتقرارًا، وهـو يتطلـب جهـوداً مشـتركة مـن جميـع الـدول لتعزيـز التعـاون، والتفاهم بينها.

المبحث الثالث: ضوابط التسامح ووسائل استدامته

ضوابط التسامح تشمل عدّة جوانب منها الإنسانيّ، والوطنيّ، والدينيّ، فعلى الصعيد الإنساني نجده يرتكز على الاحترام المتبادل، وقبول التنوع، والاختلاف بين الأفراد، وعلى الصعيد الوطني نجده يتجسّد في الوحدة الوطنيّة، والسلام الاجتماعي، ومن الناحية الدينيّة فيشمل حرية المعتقدات، ونبذ التعصب الكراهية؛ ومن أجل استدامة التسامح ينبغي التركيز على قيم التسامح وغرسها في نفوس الأفراد، في مجال التعليم ينبغي غرسها لدى الأطفال منذ الصغر، كذلك تطبيق القوانين التي تعزز التسامح وتحمي حقوق الأفراد، بالإضافة إلى تنظيم المبادرات والفعاليات التي تعزز الحوار والتعاون بين الثقافات والأديان، وفيما يلي تفصيل ذلك:

المطلب الأول: ضوابط التّسامح

بناءً لما سبق عن أهمية التسامح علي الأفراد والمجتمعات، وما له من آثر واضح علي ترسيخ المحبة والتعايش بين كافة أفراد المجتمع؛ وكما سبق القول بدور الإسلام في ترسيخ التسامح وأهميته، ولكن كما رسّخ الإسلام مبدأ التسامح بين أبنائه، وبين كافة الفئات دون النظر إلي دين، أو عرق؛ كان من الضروري أن يشرع الإسلام قوانين تحمي التسامح، وتحقق غايته؛ و بناءً علي ذلك شرع الإسلام ثلاثة ضوابط حتى لا يتحول ذلك التسامح إلي تسامح جانح، أو انحلال، أو تعصّب، أو فوضى، و هذه الضوابط تعود في جوهرها إلي ثلاثة ضوابط: الإنسانية، والدين، والوطنيّة.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

أولًا: الضابط الإنساني

لقد كرم الإسلام الإنسان ورفع قدره، تجلى ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء: [٧٠]، ومن هنا يتضح أن تكريم الإنسان هو أحد منطلقات التسامح الإنسانيّ، ولقد جعل الإسلام الضابط الإنسانيّ أحد أسس التسامح، وحتى يحقق غايته من التسامح ساوى بين كافة البشر، بأن يكون هذا التسامح قائمًا على مبدأ الإخاء، واحترام الآخرين دون النظر إلى دين، أو عرق.

فالتسامح الإنساني يقوم على مبدأ التكريم والمساواة بين البشر، مما يضمن احترام حقوق الجميع دون تمييز، غير أن هذا التسامح لا ينبغي أن يؤدي إلى الإضرار بالإنسانية أو انتهاك حقوق الأفراد، بل يجب أن يكون منضبطًا بقيم الاحترام والتقدير لمبادئ الكرامة الإنسانية، وتعزيز التواصل والتفاهم رغم الاختلافات، دون المساس بالمعتقدات الدينية والثقافية للأفراد.

كما أن التسامح يمثل أحد الأسس الجوهرية للإنسانية، وهو مفهوم تحيط به مجموعة من القيم التي تحميه وتوجهه، مثل حفظ الحقوق، والوفاء بالالتزامات، وتحقيق التعايش السلمي بين الأفراد والمجتمعات، فهو يساهم في تقليل النزاعات وتعزيز التفاهم والتآلف بين البشر، وعندما يخرج عن إطاره الصحيح ويتجاوز حدوده، فإنه يفقد دوره الإيجابي، مما قد يؤثر سلبًا على المصالح الإنسانية المشتركة (الدرعي، ٢٠٢٠م، ١٩٠).

ولقد بين (جون لوك) أهمية هذا الضابط الذي رسخه الدين الإسلامي، يقول جون لوك: "إن الحاكم ينبغي عليه ألا يتسامح مع الآراء المضادة للمجتمع الإنساني، أو مع القواعد الأخلاقية الضرورية للمحافظة على المجتمع المدني" (جون لوك، ١٩٩٧م، ٥٥) لأنّ الذي قد يعرقل التسامح هو عدم النظر إلى مصالح الناس، والاستهتار بثقافتهم ومعتقداتهم، فليس من الأخلاقي اتخاذ التسامح كوسيلة لإيجاد شروخ في المجتمع، ولن يؤدي التسامح دوره الفعال إلا باحترام الإنسان، واحترام أعرافه وثقافته.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: [١٣]، وفي هذه الآية الكريمة دلالة واضحة للقضاء على التعصب، والكراهية بشتى أشكالها، و ترسيخ الفضائل، والأخلاق الطيبة في التعامل مع الناس جميعًا، يقول الشيخ أبو زهرة: "والأخلاق في الشريعة الإسلامية عامة و شاملة؛ لأنها تقوم على الفضيلة، ومشتقة من الفطرة الإنسانية، فلا تخص إقليما دون إقليم، ولا شعبا دون شعب، وإنّما يكون

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

شرًّا بين الآحاد في شعب واحد؛ يكون أيضا شرًّا بين الجماعات والدول، وما يكون شرًّا في وطنك؛ يكون شرًّا أيضا في صنعته في غير وطنك، لأنّ قواعد السلوك الفاضل حق لكل إنسان، يستحقه بمقتضى إنسانيته التي هي وصف مشترك بين كل أبناء آدم" (أبو زهرة، ١٩٩٥م، ٣٤).

إنّ جميع القوى الإنسانية، رغم اختلاف انتماءاتها الدينية والاجتماعية، تتفق على هدف مشترك يتمثل في حماية مصالح الأفراد والحفاظ على تماسك المجتمعات ومنع الضرر عنها. غير أن تحقيق هذا الهدف يتطلب تعزيز روح التعاون والتآزر، وترسيخ القيم الإنسانية الجامعة التي تجمع بين البشر.

ومن هنا، لا بد أن يكون التسامح الإنساني قائمًا على ضوابط محددة تضمن توافقه مع مصلحة الإنسانية جمعاء، ينبغي أن يعامل الناس وفقًا لعاداتهم وتقاليدهم، مع مراعاة العدالة وعدم المساس بحقوق الإنسان، فالكرامة الإنسانية يجب أن تُحترم في جميع الأوقات والمجتمعات، دون أن ترتبط بمفاهيم نسبية. وعند غياب هذا الضابط، قد يفقد التسامح جوهره الإنساني، مما يستدعي وضع معايير أخرى تراعي الأديان والمبادئ الأخلاقية لضمان تحقيق التوازن المطلوب.

ثانيًا: الضابط الديني

كما وضع الإسلام هذا الضابط الإنساني لتحقيق حاجة الإنسان؛ فلقد شرع الضابط الديني؛ لمراعاة الأديان، لقد أقر الإسلام بحق الاختلاف، وكفل للجميع حق الممارسات الدينية؛ ولكن في مقابل ذلك لا يمكن للإسلام أن يتسامح مع الترويج لمعتقدات دينية تخالف دين المجتمع، وتشيع فيه الإلحاد والفوضى (الدرعي، ٢٠٢٠م، ٣٤٣).

إن الضابط الأساس في التسامح مع غير المسلمين، هو مشاركتهم في مناسباتهم وأعيادهم وتهنئتهم، وإهداؤهم مما هو جائز؛ بشرط أن تقام شعائرهم بما لا يخالف النظام العام للدول المسلمة، وقد فصّل العلماء قديما هذا الجانب، فبينوا ما هو جائز، وما هو ممنوع في هذا الباب، وإذا لم يحدّ ذلك بضابط أحدهما من الآخر يختلط علي المسلم أمره في التسامح فيظنهما سواء، ويستخدم التسامح في غير موطنه (القرافي، ٢٠١٠م، ١٤-١٦).

إن بعض الممارسات التي لا تتناسب مع الشعور العام لا يمكن قبولها تحت مسمي التسامح، وقد شهد بذلك غير السلمين قبل المسلمين؛ وهذا ما أشار إليه (جون لوك) في توضيح مخاطر السماح باستغلال التسامح مع من يزدري الأديان وقيمها أصلًا، حيث إنه من ليس له دين يردعه يصعب عليه التقيد بالقيم الأخلاقيّة أو

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

الإنسانيّة، فالتّسامح معه إذا لم يكن منضبطًا باحترام الأديان قد يؤدي إلى العكس تماما (جون لوك، ١٩٩٧م، ٥٧).

إنّ الهدف من هذا الضابط الديني هو أن تكون الأديان منزّهة، وهذا هو المغزى في نهي الإسلام المسلمين عن سب معبودات غير المسلمين، والازدراء، والاستهزاء بها؛ يقول الله تعالي: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام: [١٠٨]. وقد أكّد النبي ﷺ أن المؤمن الحق ليس من صفاته الشتم، والسبّ، واللعن؛ قال عليه الصلاة والسلام: **" لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيءِ"** (الترمذي، ١٩٧٥م، ٣٥٠).

ومما سبق يتّضح أن ضابط التسامح الديني في الإسلام يهدف إلى تحقيق التوازن بين احترام الأديان وصون العقيدة، بحيث يكون التسامح منضبطًا بعدم المساس بثوابت الدين أو السماح بما يخل بالنظام العام للمجتمع المسلم، فالإسلام أقرّ بحق الاختلاف، لكنه في الوقت ذاته وضع حدودًا تحفظ للأديان قدسيتها، وللمجتمعات استقرارها، مما يضمن تعايشًا سلميًا مبنيًا على الاحترام المتبادل دون تفريط أو غلو.

ثالثًا: الضابط الوطني

أسس الإسلام ضابطًا آخر لمعرفة قدر الأوطان، والدفاع عنها، وهو الضابط الوطنيّ القانوني، حيث يتطلب هذا الضابط أن تكون جميع الأقوال والأفعال غير مخالفة للقوانين، ولا تتعدي على حرية الآخرين، فالدين والوطن لا يفترقان في هذا الحق، الذي لا يمكن أن يكون محلًا للتلاعب أو الجدل، فكما أن الدين مقدس؛ فمصلحة الوطن فوق كل اعتبار أيضا؛ يقول الله تعالي: ﴿وأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: [٥٩]، فإن الخروج عن الثوابت الوطنيّة بحجة التسامح سبب في خراب الأوطان؛ ولذلك وضعت له الشريعة الإسلامية أشد العقوبات؛ قال تعالي: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الحجرات: [٩]، ويقول الإمام الشافعي: "والباغية التي تعدل عن الحق و ما عليه أئمة المسلمين و جماعتهم" (الشافعي، ١٢٧٦)، وكما ثبت في الصحيح عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: **"" انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا"**، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا، كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: **"تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ"** (البخاري، ١٩٩٣م، ٨٦٣).

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

إنّ التسامح الصحيح يعتمد على الالتزام بالقوانين التي وُضعت لضمان استقرار الأوطان، وتنظيم شؤون الناس، وحماية حقوقهم، مع مراعاة مصالحهم العامة، فالتسامح لا يعني الفوضى أو التنازل عن المبادئ، بل يقوم على احترام التنوع والتعايش السلمي، مما يعزز قوة الوطن وتماسك أبنائه، مع إعطاء الأولوية للمصلحة العامة على المصالح الفردية.

ولا يمكن الفصل بين الدين والوطن في الواقع، إذ يشكلان أساسًا متينًا لاستقرار المجتمع، فلا ينبغي أن يُستغل التسامح للإضرار بهما أو إحداث الفوضى، فمصالح الوطن تأتي في المرتبة الأولى بعد الدين، كما قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾ [الأنفال:٤٦]

أي سلوك يهدد وحدة الوطن ويثير الفتنة، سواء كان بنشر الشائعات أو الإخلال بالأمن، لا يمكن تبريره بالتسامح، بل يُعد خروجًا عن القيم الوطنية. فالتسامح لا يعني السماح بتجاوز القوانين، كما أن الخروج عن النظام العام يؤدي إلى الفوضى التي تُفقد المجتمع استقراره، وهو ما يصل بالناس إلى الفساد الذي نهى عنه الدين، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]

وعليه، فإن التسامح لا يعني التغاضي عن المخالفات القانونية، بل يقتضي الوقوف بوجه من يتجاوز القوانين ويهدد استقرار المجتمع، لأن المجتمع القائم على التسامح المنضبط هو الذي يحقق العدالة ويحفظ الحقوق، دون أن يسمح لأي جهة بإحداث الفوضى أو استغلال التسامح لتحقيق مصالح شخصية.

ومن أعظم الأمثلة لاحترام الضابط الوطني للتسامح، المعاهدة التي وقعها النبي ﷺ مع مختلف القبائل المتواجدة في المدينة المنورة، من أجل سيادة الوطن، وممارسة جميع سكان المدينة حقوقهم، وأداء واجباتهم، ولقد بين الإسلام هذا الضابط ولم يترك له أي مجال للشك.

أيضا نجد عند غير المسلمين الاهتمام والتركيز عليه، ونستدل على ذلك من خلال ما ذكره فيلسوف التسامح (جون لوك): "ثمة نوعان من الخلاف بين الناس، أحدهما متعلق بالقانون، والآخر بالقوة، وهذا الخلاف يدور على أن نهاية أحدهما بداية الآخر، وعندئذ يمكنك القول: بأن على الحاكم أن يفرض إرادته؛ لأنه الأقوى ثم ينفذ ما يريد، وهذا قول حق" (جون لوك، ١٩٩٧م، ٥٥)

ومن خلال ما تقدم، فإن الضابط الوطني للتسامح يهدف إلى تحقيق التوازن بين حفظ الحقوق وضمان الاستقرار، بحيث لا يكون التسامح مدخلًا للفوضى أو وسيلة للإضرار بالمجتمع. فكما حث الإسلام على التسامح بضوابط تحفظ الأمن والقيم، فإن الأمم جميعًا لا تستغني عن هذا المبدأ لحماية كيانها، وعليه، فإن الالتزام بالقوانين

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

واحترام الثوابت الوطنية والدينية هو السبيل الأمثل لتحقيق مجتمع متماسك يسوده العدل والسلام.

المطلب الثاني: وسائل استدامة التسامح الإنساني

إنّ الاستدامة مطلب أساسيّ، وأصل أصيل من الهويّة الثقافية، والاجتماعية لأيّ اجتماع إنسانيّ، ومن ثمّ اهتمّت به الدول، وحاولت توفير جميع الطرق لاستدامته وبقائه، والغاية الكبرى منه إنشاء جيل متماسك ومتعاون، يكون هدفه الأسمى تطوير المجتمعات مهما تنوعت القناعات، والمكونات الثقافية، والعرقية؛ ويبقى التحدّي الأكبر هو كيفية جعل التسامح مستدامًا وحاضرًا في ثقافة، ووجدان الأجيال المتلاحقة بما يتواءم مع الاحتياجات المجتمعيّة المتغيّرة.

بدأ الاهتمام بمفهوم الاستدامة إثر تقرير منظمة التنمية البيئيّة ١٩٨٧، وما تلاه من تطوير أبعاده، مما ساعد على تبنيه، وانتشاره على المستوى الدولي بفعل توالي الدراسات المتعلّقة به؛ وقد كان لإعلان مبادئ التسامح الذي أقره المؤتمر العام لليونسكو ١٩٩٥ دور كبير لظهور المفهوم الحديث للتسامح؛ أفضى ذلك إلى تعميم التسامح، والاتجاه إلى قبول الآخر وتقديره، والتواصل معه، والانفتاح عليه بدون تقليل شأنه، أو الازدراء بمعتقداته وممارساته الدينيّة والعقائديّة (الدرعي، ٢٠٢٠م، ٣٤٣).

وبالنظر إلى الشريعة الإسلاميّة فالاستدامة مطلب شرعي، وأساس في بناء منظومة التسامح، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " **أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ**" قَالَ: "وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا عَمِلَتِ العَمَلَ لَزِمَتْهُ" (النيسابوري، ١٩٥٥م، ٥٤١) وروى البخاري عن عائشة، أنها قالت: " **كَانَ أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ**" (البخاري، ١٩٩٣م، ٢٣٧٣) فكما أن الاستدامة مطلوبة في العبادات، فإنها أيضا مطلب ضروريّ للتعايش بين الناس؛ قال محمد بن واسع: "وليس لملولٍ صديق ولا لحاسدٍ غناء" (الدمشقي، ١٩٦٨م، ٢٦).

وقد وضّحت الشريعة الإسلامية الارتباط بين التسامح والاستدامة، فلا يمكن أن تتحقق قيمة التسامح إلا إذا تحقق عنصر الاستدامة؛ فعن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: " **سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمُ الجَنَّةَ عَمَلُهُ، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ**" (صحيح الترغيب، ٣١٧٤)

إن استدامة التسامح تظهر واضحة في الاهتمام بالمتطلبات الحيويّة للإنسان، وحمايتها لضمان استمرارية التنمية، ومن ثم تتجلي السعادة والتعايش السلمي لعقود طويلة بين الأجيال القادمة في ظل التنوّع الثقافي؛ ومن خلال قيم التسامح المستدامة

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

يصـل المجتمـع إلـى التكامـل بـين أطيافـه، فيعيشـون فـي سـلام، وتتحقـق مصـالحهم الحاضرة والمستقبليّة.

المبحث الرابع: تسامع النبيّ مع المسلمين وغير المسلمين (نماذج من خطبه وسيرته)

إن رسالة الإسلام التي أرسل بها سيد الأنام ﷺ رسالة عامة حملت في طيّاتها مبادئ سامية، وقيم رفيعة، من تلك القيم (قيمة التسامح، لقد جاء الإسلام ليخاطب الناس بجميع أطيافهم وأعراقهم، في شتى بقاع الأرض، وجاءت سمات الإسلام وخصائصه لتتناسب مع جميع الأحوال والظروف.

وقد خاطب النبيّ ﷺ الأفراد وأرشدهم إلى قيم التسامح والتعايش مع الآخرين، كما خاطب الطوائف والقبائل والممالك والمجتمعات، واتسمت تشريعات الإسلام بتسامح النبيّ ﷺ مع المجاورين له، والمحيطين به من القرى والمدن والممالك.

إنّ التسامح في الإسلام يعتبر من القيم الأساسية التي تؤدي إلى بناء مجتمع متماسك ومزدهر، القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة مليئة بالتوجيهات التي تحث على التسامح بين الأفراد وبين المجتمعات

المطلب الأول: تسامح النبي ﷺ مع المسلمين.

إن أساس الدين الإسلامي هو التسامح، وإن التسامح هو أقرب طريق إلى الجنة، فالتسامح في الإسلام يُعتبر من المبادئ الأساسية التي تحرص الشريعة الإسلامية على تعزيزها وترسيخها بين المسلمين وغير المسلمين.

لقد كان ﷺ سهلاً ليناً، قريباً من الناس، كان لا يرد من سأله خائباً، فقد اتسم ﷺ بمكارم الأخلاق، يقول الله تعالى مثنياً على رسوله الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: [٤] وصفه صحابته بأنه: دائم البشُر، سهل الخُلُق، لين الجانب، يظن كل من جالسه من أصحابه أنه أحب الناس إليه"، عن جرير بن عبد الله البجلي-رضي الله عنه- قال: "**مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي**" البخاري، ١٩٩٣م، ١١٠٤).

وتتجلى سماحة الدين الإسلامي في أحكامه، فإن كانت الصلاة هي عماد الدين، فيجوز للمسافر جمع الصلوات، وإن كان الوضوء أساس الصلاة فيمكن للمسلم التيمم إن لم يجد الماء، ولقد جعل الإسلام الصيام ركناً من أركانه وفريضة محكمة، ولكن يسقط عن المريض والمسافر ومن لم يستطع فعدة من أيام أخر، وكذلك الحج والزكاة، فإن سماحة الدين الإسلامي تأبى أن يشق المرء على نفسه في أركانه.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

ولم يكن ﷺ: النبي ﷺ متسامحاً في معاملته فحسب، بل حث الأمة على التسامح، وأكد في كثير من الأحاديث، والخطب أن يكون المؤمن سمحًا في نفسه، وماله، وتعامله، وقد جعل ثواب ذلك التسامح جنة الله، ورضوان منه، يتجلى ذلك فيما رواه عبد الله بن عمرة -رضي الله عنهما -قال: قال رسول الله ﷺ: **"دَخَلَ رَجُلٌ الجَنَّةَ بِسَمَاحَتِهِ، قَاضِيًا وَمُتَقَاضِيًا"** (الشيباني، ١٩٩٥م، ٤٢١)، وفي حديث أخر رواه عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **"أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يُحَرَّمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ كُلُّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ"** (الشيباني، ١٩٩٥م، ٤٢١).

ولقد عمل النبيّ ﷺ على نشر قيم التسامح بشكل متكامل في تعاليمه وسيرته، وكانت هذه القيم جزءًا أساسيًّا من رسالته التي تهدف إلى بناء مجتمع يسوده العدل، والرحمة، والسلام، وفيما يلي بعض النماذج من سيرة النبيّ ﷺ الطيبة التي نشر بها قيم التسامح:

أولًا: توطيد علاقة الإخوة والتسامح بين المسلمين:

إنّ توطيد علاقة الإخوة والتسامح بين المسلمين يعتبر من القيم الأساسية في الإسلام، ويسهم بشكل كبير في تعزيز الوحدة والتماسك الاجتماعي داخل المجتمع الإسلامي، وقد وردت نصوص شرعيّة وتوجيهات نبويّة عديدة تشجع على هذا الأمر.

فقد قام النبيّ ﷺ بتوطيد علاقة الأخوة، والمحبة بين المسلمين، فأمرهم ﷺ بإفشاء السلام، وطلاقة الوجه، والإحسان، وبذل المعروف، يُستدل على ذلك ما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: **"لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"** (النيسابوري، ١٩٥٥م، ٧٤) ، وقد ورد عنه ﷺ في قوله عن طلاقة الوجه ما رواه جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله: **" كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ المَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَائِهِ"** (الشيباني، ٢٠٠١م، ٥٨)، وعن أمره ﷺ المسلمين ببذل المعروف والإحسان؛ كما ورد في حديث معاذ- الذي تقدم- أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال له: **" إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"** (الإبياري، ٢٠١٣م، ٣٧٠).

ثانيًا: إشاعة التكافل الاجتماعي بين المسلمين:

التكافل بين المسلمين هو ممارسة يومية تتجسّد في الأفعال، والتصرّفات التي تعزز من وحدة المجتمع وتماسكه، من خلال الالتزام بتعاليم الإسلام، والحرص على تطبيقها في حياتنا اليومية، حيث يمكننا تحقيق مجتمع متكافل يتميز بالعدالة، والرحمة، والاحترام المتبادل.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

ويتجسد هذا المفهوم في عدة جوانب من الحياة الإسلامية، سواء كانت دينية، اقتصادية، اجتماعية، أو أخلاقية؛ كالزكاة، والصدقة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ التوبة: [١٠٣]

ولقد أكد النبيّ ﷺ على أهمية التكافل الاجتماعي بقوله: " **مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**" (النيسابوري، ١٩٥٥م، ١٩٩٩)، فكان التكافل الاجتماعي في العهد النبويّ يشمل كافة أبناء المجتمع على اختلاف مللهم ومعتقداتهم، يتضح ذلك التكافل الاجتماعي عادة في المواسم الدينية، مثل ما يحدث في شهر رمضان من إطعام الطعام، على قدر المستطاع سواء كان ذلك الطعام من التمر، او اللبن، أو حتى الماء.

وقد أبرز النبي ﷺ ذلك خلال خطبة ألقاها آخر يوم من شعبان جاء فيها: "**يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى تَمْرَةٍ، أَوْ عَلَى شَرْبَةِ مَاءٍ، أَوْ مَذْقَةِ لَبَنٍ. وَمَنْ سَقَى صَائِمًا، سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً، لَا يَظْمَأُ حَتَّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ**" (عبد القوي، ١٩٦٨م، ١١٥)، ومن صور التكافل إكرام الضيف، ما قاله ﷺ يوم تبوك: "**مَا فِي النَّاسِ مِثْلُ رَجُلٍ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ، فَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَجْتَنِبُ شُرُورَ النَّاسِ، وَمِثْلُ رَجُلٍ بَادٍ فِي غَنَمِهِ، يُقْرِي ضَيْفَهُ**". (الشيباني،١٩٩٥، ٣/٣٩)

ومن صور التكافل دور القبيلة تجاه الغارمين من أبنائها المسلمين، فقد أكد النبي ﷺ على دور القبيلة تجاه أفرادها في قضاء المغارم عن أفراد القبيلة من الذين لا يستطيعون أداء ما عليهم، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله، فقال: "**هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ؟" فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: "هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ؟" فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: "هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ؟" فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي فِي المَرَّتَيْنِ الأُولَيَيْنِ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَنْوِهْ بِكُمْ إِلَّا خَيْرًا، إِنَّ صَاحِبَكُمْ مَأْسُورٌ بِدَيْنِهِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أُدِّيَ عَنْهُ، حَتَّى مَا أَحَدٌ يَطْلُبُهُ بِشَيْءٍ**" (أبو داوود، ١٩٦٨م، ١١٥).

ومنها السعي إلى الإصلاح بين الناس وحل النزاعات، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الحجرات: [١٠].

ثالثًا: التسامح مع النساء

الإسلام دين الرحمة والعدل، وقد أولى اهتمامًا كبيرًا بحقوق المرأة وكرامتها، وقد تجلّى التسامح مع النساء في عدة جوانب عديدة تتعلق بحسن بمعاملتهن، ورعايتهن، وحفظ حقوقهن، وقد شمل خطابه ﷺ أيضا النساء، من ذلك قوله ﷺ في خطبة الكسوف: "**وَرَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ**

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

أَهْلِهَا النِّسَاءَ". فَقَالُوا: "لِمَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟" قَالَ: "لِكُفْرِهِنَّ". قِيلَ: "أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟" قَالَ: "وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ" (ابن حنبل، ٢٠٠١م، ٤٤٣).

وقد كان النبي ﷺ مثالًا في الرحمة والعطف على النساء، كانت معاملته لزوجاته مليئة بالحب والتقدير، ومن الأمثلة على ذلك ما روته عائشة -رضي الله عنها- عندما سُئلت عن حال النبي ﷺ في بيته، فقالت: " **كَانَ فِي خِدْمَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ"** (البخاري، ١٩٩٣م، ٢٣٩).

وكان ﷺ يحثّ المسلمين على معاملة النساء بالحسنى، وأكد على ذلك في العديد من الأحاديث والخطب، منها قوله ﷺ: **"اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا"** (النيسابوري، ١٩٥٥م، ١٠٩٢)، وهذا الحديث يعبر عن التسامح والرفق في معاملة النساء، كما منح الإسلام المرأة حقوقاً مالية مستقلة، فهي لها الحق في المهر والميراث، وحق العمل والتجارة. قال الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ النساء: [٧]

كما حرص ﷺ على توطيد العلاقة الأسرية بين الزوجين، فخاطب الرجال وحملهم مسؤولية بيوتهم، وحثهم على أداء حقوق زوجاتهم، ما ورد في خطبه ﷺ قوله: **"فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ"** (البيهقي، ٢٠٠٣م، ٤٨١).

رابعًا: التسامح في قبول الظاهر من المسلمين، وترك السرائر لله:

التسامح في قبول الظاهر من المسلمين وترك السرائر لله مبدأ إسلامي يعزز التعايش السلمي والثقة بين الأفراد، وهذا المبدأ يتجلى في العديد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على حسن الظن بالمسلمين، وعدم الحكم على الناس بناءً على النوايا الخفية التي لا يعلمها إلا الله.

كان النبي ﷺ يوجه أصحابه إلى التعامل مع الناس بناءً على ما يظهر منهم من إيمان وأعمال، وترك ما في قلوبهم لله، فقد استنكر النبيّ ﷺ ما فعله أسامة بن زيد- رضي الله عنه- حين أخبر رسول الله ﷺ أنه قتل رجلا بعد نطقه بلا إله إلا الله، فعن أسامة بن زيد-رضي الله عنه- قال بعثنا رسول الله ﷺ فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلا، فقال لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: "" **أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟" قَالَ: قُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا**

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ". فَقَالَ" :أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟"! فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ" (النيسابوري، ١٩٥٥م، ٩٦).

فالإسلام يحث على حسن الظن بالآخرين، وتجنب سوء الظن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ سورة الحجرات: [١٢] فحسن الظن يعني قبول الناس بما يظهر منهم من خير، وعدم التشكك في نواياهم دون دليل، والستر عليهم، وعدم تتبع عوراتهم، وقد حثّ ﷺ على الستر والعفو، كما قال: **" مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ"** (النيسابوري، ١٩٥٥، ١٩٩٦)، وهذا يدل على أهمية عدم البحث عن العيوب والأخطاء الخفيّة لدى الآخرين، والتركيز على الظاهر من الخير.

من خلال ما تقدم، فالتسامح في قبول الظاهر من المسلمين، وترك السرائر لله مبدأ أساسي يعزز العلاقات الإنسانية الحميدة، ويؤكد على ضرورة التركيز على الظاهر من الأقوال والأفعال، وحسن الظن بالناس، والستر عليهم، والتسامح والعفو، وبهذا النهج ينشأ مجتمع قوي متلاحم.

خامسًا: مواقف من تسامح النبي ﷺ مع المخطئين من المسلمين:

تسامح النبي ﷺ مع المخطئين المسلمين يظهر في العديد من المواقف التي تبين رحمته وحرصه على التعايش والتعاون بين أفراد المجتمع المسلم، وفيما يلي بعض المواقف البارزة من تسامحه ﷺ:

تسامح النبي مع الرماة يوم أحد: في معركة أحد، ارتكب الرماة المسلمون خطأً فادحًا عندما تركوا مواقعهم على الجبل، مما أدّى إلى تغيير مسار المعركة لصالح قريش، في بداية معركة أحد، وضع النبي خمسين من الرماة على جبل عينين بقيادة عبد الله بن جبير، وأمرهم بالبقاء في مواقعهم وعدم مغادرتها مهما كانت الظروف، سواء كانت الغلبة للمسلمين أو للمشركين، ولكن عندما رأى الرماة أن المسلمين قد بدؤوا بجمع الغنائم بعد أن بدا النصر لهم، خالفوا أوامر النبي وتركوا مواقعهم، فاستغل خالد بن الوليد، الذي كان قائدًا للفرسان في جيش قريش، فرصة ترك الرماة لمواقعهم، فقام بهجوم مفاجئ من الخلف مما أدى إلى قلب موازين المعركة لصالح قريش؛ ونتج عن ذلك وقوع خسائر كبيرة في صفوف المسلمين، وإصابة النبي ﷺ نفسه.

وبعد انتهاء المعركة، ورغم الجروح والخسائر الكبيرة التي عانى منها المسلمون، لم يعاقب النبي الرماة أو يعنفهم بقسوة، بل خاطبهم بلطف ورفق، مظهرًا تسامحه وحكمته في التعامل مع الخطأ، فهذا الموقف يظهر فهم النبي ﷺ للضعف البشري، وحرصه على تعليم أصحابه من خلال الرحمة واللين، فبدلاً من التركيز على توبيخ الرماة، استغل النبي ﷺ الموقف لتعليم المسلمين درسًا مهمًا في الطاعة

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

والانضباط؛ أكد من خلاله على أهمية الالتزام بأوامر القائد، وخاصة في مواقف الحرب، مما يعزز روح الفريق، والانضباط في الغزوات اللاحقة.

التسامح مع الصحابة "الثلاثة الذين خُلِّفوا" : حينما عاد النبيّ ﷺ من غزوة تبوك جاء المعذّرون الذين تخلفوا عن الغزوة ولم يذهبوا مع النبي ﷺ جاؤوا يعتذرون إليه؛ فمنهم الصّادقون ومنهم غير ذلك، ولكن جاء ثلاثة منهم، فاعترفوا بذنبهم وتقصيرهم في حق الله، وهي من المواقف التي تجسد عظمة أخلاق النبي وحكمته في التعامل مع أصحابه. هؤلاء الثلاثة هم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، فعندما أعلن النبي محمد ﷺ عن غزوة تبوك، أمر جميع المسلمين بالاستعداد للغزو، لم يكن هناك عذر شرعي لمن تخلف عن الغزو، وكان من المتوقع أن يلتحق الجميع بالجيوش، ولكن كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية تخلفوا عن الغزو بغير عذر.

وعند عودة النبي والمسلمين من الغزوة، جاء الثلاثة للاعتذار، كانوا صادقين في اعترافهم بخطئهم وأسباب تخلفهم، فأمر النبي بمقاطعتهم، فامتنع المسلمون عن مخاطبتهم والتعامل معهم لمدة خمسين يومًا، كانت هذه الفترة صعبة جداً على الثلاثة، حيث كانوا يشعرون بالندم الشديد والحزن، وبعد خمسين يوماً، نزلت آية في القرآن تبشرهم بقبول توبتهم، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨].

ومن هنا نستخلص رحمة النبي ﷺ وحكمته: عاقبهم النبي في البداية لتحقيق المصلحة العامة والتأديب، لكنه في النهاية رحب بهم، وتسامح معهم عندما نزلت الآية بقبول توبتهم، وهذه القصة تبيّن أن الإسلام دين الرحمة والمغفرة، وأن الصدق مع الله، ومع النفس هو الأساس في قبول التوبة.

تسامح النبي ﷺ مع الصحابيّ حاطب بن أبي بلتعة: عندما قرر النبي ﷺ فتح مكة، أراد أن يبقي خطته سرية؛ حتى لا تتأهب قريش، وتستعد للمواجهة؛ ومع ذلك، قام حاطب بن أبي بلتعة، وهو من المهاجرين، بكتابة رسالة إلى قريش أرسلها مع امرأة إلى مكة يخبرهم فيها بخطة النبي ﷺ.

وبوحي من الله، أُبلغ النبي ﷺ بالأمر، فأرسل علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام لملاحقة المرأة، وإحضار الرسالة، عندما أدركوها، وجدوها تحمل الرسالة، فأخذوها منها، وعادوا بها إلى النبي ﷺ، وعندما استدعى النبي حاطبًا، وسأله عن سبب فعلته، أوضح حاطب أنه فعل ذلك؛ لحماية أهله في مكة، حيث لم يكن لديه حماية قبلية قوية هناك مثل باقي المهاجرين، وأكد حاطب أنه لم يكن في نيته خيانة

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

الإسلام أو المسلمين، بل كان يبحث عن وسيلة لحماية عائلته، وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان شاهدًا، وطلب الإذن بقطع رأس حاطب بسبب ما اعتبره خيانة، ولكن النبي قال له: " **إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ" :اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**" (البخاري، ١٩٩٣م، ١٠٩٥).

فبالرغم من خطورة ما فعله حاطب، فقد أظهر النبي توازنًا بين تطبيق العدالة، وإظهار الرحمة، مما ساعد في الحفاظ على وحدة الجماعة المسلمة، وتعزيز ثقتهم في قيادتهم، فتسامح النبي ﷺ مع حاطب بن أبي بلتعة مثال حي على كيفية تعامله ﷺ مع أخطاء الصحابة بروح من الرحمة والفهم.

تسامح النبي ﷺ مع خالد بن الوليد: إنّ تسامح النبي ﷺ مع خالد بن الوليد يُعدّ من أروع الأمثلة على عظمة النبي في التسامح وحسن المعاملة، فخالد بن الوليد – رضي الله عنه- كان من القادة العسكريين البارزين في قريش، وقد حارب المسلمين في عدة معارك قبل أن يعتنق الإسلام، فقد شارك خالد بن الوليد في معركة أحد إلى جانب قريش، وكان له دور كبير في هزيمة المسلمين في غزوة أحد بحنكته العسكرية، هذه المعركة كانت من أشد المعارك التي واجهها المسلمون، وأدت إلى خسائر كبيرة في صفوفهم.

بعد فترة من التفكير والتأمل، قرر خالد بن الوليد اعتناق الإسلام، فسافر إلى المدينة للقاء النبي ﷺ، وعند وصوله، استقبله النبي ﷺ برحابة صدر، ولم يذكر له شيئًا عن ماضيه الحربي ضد المسلمين، بل رحب به وأعلن إسلامه. قال خالد للنبي ﷺ: "يا رسول الله، إني أتيتك مسلمًا مؤمنًا بما جئت به، وقد شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله". فرد النبي: " **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ، قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ عَقْلًا لَا يُسْلِمُكَ إِلَّا إِلَى الخَيْرِ**" (ابن كثير، ١٩٩٧م، ٤٠٨).

تسامح النبي ﷺ مع الصحابي الذي شرب الخمر: كان هناك صحابي يُؤتى به مرارًا إلى النبي بسبب شربه الخمر، وفي إحدى المرات، قال أحد الصحابة: "لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به!"، فرد النبي: " **لَا تَلْعَنُوهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**" (الموصلي، ١٩٨٤م، ١٦١)، عفا عنه النبي، وبيّن للصحابة أهمية عدم الحكم على الناس بقسوة، مظهرًا روح التسامح والرغبة في الإصلاح.

قصة الصحابي الذي أفطر في رمضان عمدًا: عندما جاء إلى النبي ﷺ رجل وقال: "يا رسول الله، هلكت!" فسأله النبي عن السبب، فأجاب: "وقعت على امرأتي في نهار رمضان". أرشده النبي إلى الكفارة المطلوبة وهي: عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينًا. عندما قال الرجل إنه لا يستطيع فعل أي من ذلك، أتى النبي بتمر وأعطاه للرجل ليطعم به المساكين، وعندما تبين له أن الرجل فقير،

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

أمره النبي ﷺ أن يأخذ التمر، ويطعمه لأهل بيته (البغوي، ١٩٨٧، ٧٨) وهنا تتجلى حكمة وسماحته ورحمته النبيّ في التعامل مع هذا الموقف.

تسامح النبي ﷺ مع المخطئين في قضايا الحدود: عندما جاء ماعز بن مالك يعترف بارتكاب الزنا، حاول النبي أن يصرفه عدة مرات، لعلّه يتراجع عن اعترافه، لكن ماعز أصر على الاعتراف، تعامل النبي مع الأمر بحكمة ولم يتسرع في تطبيق الحد، بل حرص على التحقق مرارًا من صحة اعترافه وإرادته التوبة، مما يظهر حرص النبي على إعطاء الفرصة للتوبة والإصلاح.

ومما سبق يتّضح أنّ تعامل النبي ﷺ مع المخطئين كان يتسم بالرحمة والحكمة، وكان يسعى دائمًا إلى الإصلاح والتوجيه بدلاً من العقاب القاسي، وهذه المواقف تعكس قيم الإسلام السمحة في التعامل مع الأخطاء.

المطلب الثاني: تسامح النبي مع غير المسلمين (نماذج من سيرة النبي ﷺ)

إنّ التسامح مع غير المسلمين هو أحد المبادئ المهمة في الإسلام، ويعكس روح العدالة والرحمة والاحترام التي يدعو إليها الدين الإسلامي، وأكّد القرآن والسنة على ضرورة احترام حقوق غير المسلمين، والتعامل معهم بالبر والإحسان، ومن ذلك حرية الدين والمعتقد، قال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: [٢٥٦] وهذا يعني أن الأفراد أحرار في اختيار دينهم ومعتقداتهم دون أي إجبار.

ومن تسامح المسلمين مع غيرهم حسن المعاملة والبر، قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة: [٨] أضف إلى ذلك احترام العهود والمواثيق، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾ الإسراء: [٣٤]، وفي هذا السياق، كان النبي ﷺ مثالًا يُحتذى به في الوفاء بالعهود والمواثيق مع غير المسلمين، كما يأمر الإسلام بالعدل في التعامل مع الجميع، بما في ذلك غير المسلمين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: [٨]، ومن ذلك حرص النبيّ ﷺ على حقوق الجوار، فقد أكد على حقوق الجيران بغض النظر عن دينهم. فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **"مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ"** (البخاري، ١٩٩٣م، ٢٢٣٩).

علاوة على ذلك، حسن معاملتهم في الحروب، فالإسلام وضع قواعد أخلاقية في حالة الحرب، منها عدم قتل غير المحاربين، وحماية الأماكن الدينية، والرحمة بالأسرى، يقول ﷺ: **"اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا"** (النيسابوري، ١٩٥٥م، ١٣٥٧)،

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

وكـان الإسـلام مـن أجـل أن يتـألف قلـوب غيـر المسـلمين، يـدعوهم بـالطرق السـلمية والحكمة، والموعظة الحسنة، وهذا بـاب عظيم من أبـواب التسـامح، يقول الله تعـالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: [١٢٥]، كمـا كـان يحتـرم مقدسـاتهم وأمـاكن تعبدهم، يقول الله تعـالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّـاسَ بَعْضَـهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَـوَامِعُ وَبِيَـعٌ وَصَـلَوَاتٌ وَمَسَـاجِدُ يُـذْكَرُ فِيهَـا اسْمُ اللَّهِ كَثِيـرًا﴾ (الحـج: [٤٠] ومـن تسـامحه أيضًـا أنـه شـجّع علـى التعـاون الاقتصـادي والاجتماعي مع غير المسلمين في مجالات التجارة والخدمات المختلفة، بما يسهم في تحقيق المصالح المشتركة وتعزيز التعايش السلمي.

ومن هنا يتّضح أنّ التسامح مع غير المسلمين في الإسلام يعكس جوهر الدين الإسلامي الذي يقوم على العدالة والرحمة والإنسانية، من خلال اتباع تعاليم الإسلام في التسامح والاحترام المتبادل، يمكن للمسلمين أن يسهموا في بناء مجتمع عالمي يسوده السلام والتفاهم والعيش المشترك.

وسيرة النبي محمد ﷺ مليئة بالمواقف التي تبرز تسامحه وحبه للآخرين، بما في ذلك غير المسلمين، وهذه بعض صورها:

أولًا: تسامح النبيّ مع أسرى بدر

معركة بدر التي وقعت في عام ٦٢٤ ميلادية كانت إحدى المعارك الهامة في تاريخ الإسلام، وكان من نتائج هذه المعركة أن أسر الجيش المسلم عددًا من أسرى قريش، بمن فيهم بعض القادة البارزين.

لقد كـان موقـف النبـيّ ﷺ مـع أسـرى غـزوة بـدر واضـحًا يتّصـف بالتسـامح والعفو والرحمـة، ولقد خلّده التـاريخ إلـى زماننـا هذا حيث أكرمهم وأمر بمعاملتهم معاملة طيّبة تعكس قيم الإسلام ومبادئه؛ وحين طلب النبـيّ ﷺ مشورة أصـحابه، منـهم من أشار بقتلهم كعمر بن الخطـاب -رضـي الله عنـه- ومنـهم من أشـار عليـه بالتسـامح معهم وأخذ الفديـة منـهم، وممن أشـار عليـه بذلك أبـو بكر الصـدّيق -رضـي الله عنـه- ولكونـه النبـيّ الـرحيم الـذي أرسـله الله رحمـة وسـلامًا للعالمين؛ فقد أخذ بمشـورة أبـي بكر، وقبل أن يسامحهم ويقبل الفدية حسب مقدرة كل أسير، وجعل الذين ليس لهم فداء يقدّمونه أن يعلموا أولاد الأنصار.

لقد كانت القاعدة الأساسيّة في معاملـة الأسرى هـي المعاملـة بالحسنى؛ قال ﷺ: " **اسْتَوْصُـوا بِهِـمْ خَيْـرًا**" (الـذهبي، ١٩٨٥م، ٣٥٦)، وهـذا التسـامح الـذي أبـداه الإسلام مع الأسرى، كان فرصـة كبيرة لهم للتعرف علـى الإسـلام أثنـاء فتـرة أسـرهم، وقد اتخذ النبي ﷺ هذه الفرصـة لدعوتهم إلى الإسلام وتعريفهم بتعاليمه.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

هذه المواقف وغيرها تبرز التسامح والرحمة التي أظهرها النبي ﷺ تجاه الأسرى من معركة بدر، وتعكس القيم الإنسانية والأخلاقية التي دعا إليها الإسلام في التعامل مع الآخرين، حتى في الظروف الصعبة مثل المعارك.

ثانيًا: التسامح والتعايش مع اليهود في المدينة

عندما هاجر النبي محمد ﷺ إلى المدينة المنورة، وجد مجتمعًا متنوعًا دينياً واجتماعياً يضم إلى جانب المسلمين الجدد مجموعات من اليهود الذين كانوا يشكلون جزءًا مهمًّا من سكان المدينة، وفي هذا السياق، نُفذت مجموعة من المعاهدات والاتفاقات التي تضمن التسامح والتعايش السلمي بين المسلمين واليهود.

قام النبيّ ﷺ بكتابة وثيقة عامة توضح العلاقة بين المسلمين، وغيرهم ممن يجمعهم الجوار والسكنى، بما في ذلك القبائل اليهودية مثل: بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، هذا الميثاق كان يشكل إطارًا قانونيًّا واجتماعيًّا، يضمن حقوق وواجبات جميع الأطراف، وكانت هذه الوثيقة واضحة البنود، شاملة في توزيع الواجبات والحقوق، وتنص بنود هذه الوثيقة على التالي:

- أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ دُونَ النَّاسِ.
- أَنَّ كُلَّ قَبِيلَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالمَعْرُوفِ.
- أَنَّ عَلَى جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ إِعَانَةَ مَنْ عَجَزَ عَنْ أَدَاءِ مَا عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقٍ.
- أَنَّ يَدَ المُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ فِي صَدِّ المُعْتَدِينَ البَاغِينَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا.
- وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ، وَلَا يَنْصُرُهُ عَلَيْهِ.
- أَنَّ ذِمَّةَ أَهْلِ الإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ.
- أَنَّ مَنْ تَبِعَ أَهْلَ الإِسْلَامِ مِنَ اليَهُودِ، فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالأُسْوَةَ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرٍ عَلَيْهِمْ.
- أَنَّ سِلْمَ المُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ، لَا يُسَالِمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ.
- وَأَنَّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ وَلَا نَفْسًا، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ.
- وَأَنَّهُ مَنْ اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا قَتْلًا، عَنْ بَيِّنَةٍ، فَإِنَّهُ قَوَدٌ بِهِ، إِلَّا أَنْ يَرْضَى وَلِيُّ المَقْتُولِ.
- وَأَنَّ المُؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ كَافَّةً، وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ إِلَّا قِيَامٌ عَلَيْهِمْ.
- وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ نَصْرُ مُحْدِثٍ وَلَا إِيوَاؤُهُ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ.
- وَأَنَّ مَرَدَّ كُلِّ خِلَافٍ أَوْ شِجَارٍ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
- وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهِمَ يَثْرِبَ.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

- وَأَنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالمَدِينَةِ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ، **وَأَنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى**. (السهيلي، ٢٠٠٠م، ١٧٧).

فلقد حددت تلك الوثيقة ضوابط العلاقة بين أفراد المجتمع كله، وجعلت التعاون فيما بينهم واجباً دينياً، ولقد حددت مرجعية كل خلاف يحدث بين أهل هذا الميثاق، وأعطتهم حرية التنقل والإقامة، ولم تجبر أحدًا على الدخول في دين الإسلام.

ثالثًا: تسامح النبيّ ﷺ مع أهل الطائف

ومن الجدير بالذكر أن نسلّط الضوء على تسامح رسول الله ﷺ مع أهل الطائف، وبالتحديد قرن الثعالب، فبعد وفاة عم النبي ﷺ، ضاقت عليه مكة بعد إيذاء أهلها له، فشرع ﷺ في الذهاب إلى الطائف؛ لعله يجد من ينصره هناك من قبيلة ثقيف، وكان ذلك في شهر شوال من السنة العاشرة للبعثة، بعد وفاة زوجته خديجة - رضي الله عنها-.

أخذ يدعوهم ﷺ إلى الإسلام، وإلى دين الحق، فلم ينل منهم سوى التكذيب والإنكار (السيرة النبوية، ٤٠١)، بدلاً من أن يجد الدعم والترحيب، فقوبل النبي ﷺ بالرفض الشديد والإهانة، ولم يكتف أهل الطائف برفض دعوته، بل أرسلوا الصبية والسفهاء ليطردوه ويرموه بالحجارة، حتى سال الدم من قدميه الشريفتين، كان هذا الموقف من أكثر المواقف إيلامًا في حياة النبي.

وهنا رفع يده ﷺ، ودعا ربه "اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، اللَّهُمَّ إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، لَكَ العُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" (ابن قيم الجوزية، ١٩٩٨م، ٢٨).

فرغم هذا الأذى الشديد الذي تعرض له النبي ﷺ في الطائف، فإن ردّ فعله كان نموذجًا للتسامح والرحمة، حين جاءه ملك الجبال، وعرض عليه أن يطبق الأخشبين على أهل الطائف، رفض النبي ذلك، وقال: " **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**" (البخاري، ١٩٩٣م، ١١٨٠)، لقد أثمر هذا التسامح النبوي بعد سنوات، حيث اعتنق كثير من أهل الطائف الإسلام بعد فتح مكة، وأصبحوا من أنصار الإسلام الأوفياء، لقد كانت رحمة النبي وتسامحه ﷺ مع من أساؤوا إليه مثالاً عظيماً يجب الاقتداء به.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

رابعًا: تسامح النبي ﷺ مع أهل مكة بعد الفتح:

يعتبر فتح مكة من أبرز الأحداث في السيرة النبوية، ويظهر فيه تسامح ﷺ بشكل جلي ومؤثر بعد سنوات من الصراع، والاضطهاد، والمعارك بين المسلمين، وقريش، فقد دخل النبي ﷺ مكة فاتحًا منتصرًا، وقد أتيحت له فرصة الانتقام من أهل مكة الذين عادوه وعذبوه ومن معه وأخرجوه من أحب البلاد إليه، إلا إنّ موقفه كان مليئًا بالرحمة والتسامح تجاه أهلها، رغم أنهم كانوا أشد أعدائه.

فعندما دخل النبي ﷺ مكة، توجه مباشرة إلى الكعبة وطاف بها، ثم دخلها، وحطم الأصنام، بعدها جمع أهل مكة عند الكعبة، وكانوا في غاية الخوف والترقّب لما سيحل بهم، يتوقعون الانتقام بعد سنوات من العداوة والحرب، وفي هذا الموقف الحاسم، ألقى النبي ﷺ **خطبة قال فيها: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟"** قَالُوا: "خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ." **فَقَالَ: "فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ:** ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ **يوسف: [٩٢] "اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ** (اختيار وكالة شئون المطبوعات، ١٤٢٣هـ، ١٤١-١٤٢).

لم يكن عفو النبي ﷺ عن أهل مكة مجرد عفو؛ بل كان له تسامحًا كبيرًا أسفر عن نتائج عظيمة، منها: تحولت قلوب كثير من أهل مكة تأثروا بعفو النبي ﷺ ودخلوا في دين الله أفواجًا، كما ساهم في توحيد الجزيرة العربية تحت راية واحدة وهي راية الإسلام، حيث تلاشت العداوات القديمة، وقد صار النبيّ ﷺ بهذا الموقف التاريخيّ نموذجًا يُحتذى به في التسامح والرحمة للإنسانية جمعاء.

إنّ فتح مكة يعد أحد أبرز الأمثلة التاريخيّة التي تبرهن كيف أنّه يمكن للتسامح والرحمة أن يغيرا مسار الأحداث، وأن يجلبا السلام والوحدة للبشريّة جمعاء.

خامسًا: تسامح النبيّ ﷺ وحكمته في التعامل مع المنافقين:

يُعتبر النفاق من أشد الأخطار على المجتمع الإسلامي؛ لأنه ينطوي على خداع، وفتنة، وتآمر داخلي، وقد تناول القرآن الكريم المنافقين في سور عدة، منها سورة البقرة، وسورة التوبة، وسورة المنافقون، وفضح حقيقتهم.

كان النبيّ ﷺ يراعي أحوال المنافقين في الكثير من الأمور، فكان يكف عن قتل المنافقين خشية أن يقال إن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه، حتى ولو ظهر نفاقهم وافتضحوا، وقد كان ﷺ قادرا على التخلص منهم؛ لأنه يعرفهم بأسمائهم، وأسماء ابائهم، وذلك من خلال الوحي، والدليل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون: [٨].

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

وكـان من حكمـة النبـيّ ﷺ إبـراز صـفاتهم دون ذكـر أسـمائهم: فكـان ﷺ يلجـأ لاستخدام أسلوب التلميح في خطب وأحاديثه حين يتحدّث عن مواقفهم وصفاتهم، ويتضح ذلك في خطبه، يقول ﷺ **"يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ"** (الترمذي، ١٩٧٥م، ٣٧٨).

لقد كان تعامل النبي ﷺ مع المنافقين في المدينة نموذجًا للتسامح والحكمة السياسية، وظهرت سماحته ﷺ مع المنافقين، في الموقف الذي قال فيه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "دعني أضرب عنق هذا المنافق" قال له: **" دَعْهُ، لَا يُحَدِّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ"** (البخاري، ١٤٢٢ه، ١٥٤)

كان عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين في المدينة، وكان يتآمر ضد النبي ﷺ والمسلمين ويثير الفتن، ورغم معرفة النبيّ ﷺ بمكائده، تعامل النبي معه بحكمة وتسامح، وعندما توفي عبد الله بن أبي، طلب ابنه من النبي ﷺ أن يكفنه بثوبه، فاستجاب النبي ﷺ لذلك رغم اعتراض بعض الصحابة مثل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-

ومن تلك المواقف أيضاً محاولة اغتيال النبي ﷺ في غزوة تبوك، حيث حاول بعض المنافقين اغتيال النبي ﷺ أثناء عودته إلى المدينة، ولكن الله أنجاه منهم؛ فلم يعاقب النبي هؤلاء المنافقين بشكل مباشر، بل ترك أمرهم إلى الله.

ومنها قيام المنافقين ببناء مسجد الضرار؛ ليكون مركزًا للتآمر ضد المسلمين، وطلبوا من النبي ﷺ أن يصلي فيه، فلم يقبل النبي ﷺ ذلك، وأمر بهدم المسجد بعد أن أوحى الله إليه بحقيقة نواياهم.

ولعل الحكمة من تسامح النبي مع المنافقين الحفاظ على وحدة المجتمع، فقد كان المجتمع الإسلامي في المدينة يضم المسلمين والمنافقين وبعض القبائل اليهودية، وكان النبي ﷺ حريصًا على تجنّب الفتن الداخلية التي قد تضعف جبهة المسلمين؛ لذلك كان تعامل النبي ﷺ بالحكمة والصبر مع المنافقين جزءًا من سياسته الدعويّة، آملاً في هدايتهم، وكسب قلوبهم، فقد كان النبيّ ﷺ يدرك أن العقاب العلني للمنافقين قد يؤدي إلى فتن داخلية، ويزيد من حدة التوتر في المجتمع.

مما تقدّم ندرك أنّ تعامل النبي ﷺ مع المنافقين كان درسًا في التسامح والحكمة، حيث وازن ﷺ بين حماية المجتمع المسلم، والحفاظ على وحدته من جهة، وبين الأمل في هداية المنافقين من جهة أخرى.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

سادسًا: نماذج من تسامحه مع أفراد من غير المسلمين

تسامحه ﷺ مع ثمامة بن أثال: من المواقف الخالدة في تسامح النبيّ كان مع ثمامة بن أثال، فقد كان ثمامة من زعماء قومه، أسره أصحاب النبيّ ﷺ وجاؤوا به إلى المسجد، وكان قد قرر أن يأتي المدينة ليقتل محمّدًا ﷺ، فما كان من النبيّ ﷺ أن قال لأصحابه :"أحسنوا إساره"، فعامله النبي ﷺ معاملة كريمة بلغت الغاية في الرحمة والتسامح، وكان الرسول كلما مرّ عليه، عرض عليه الإسلام بقوله في كل مرة: **"ماذا عندك يا ثمامة"**، وكان ثمامة يعيد على رسول الله بقوله في كل مرة: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تُنْعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعطه، حتى امر النبيّ ﷺ أن يفك المسلمون إساره قائلًا لهم: **"أطلقوا ثمامة"**، فانطلق ثمامة حتى غاب عن المسلمين في نخل قريب فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله (الشيباني، ١٩٩٥م، ٣١٨)، لقد أراد ثمامة أن يَعلَم المسلمون أنّه أسلم طواعية؛ حبًّا لله، ولرسوله، وليس خوفًا من القتل، إنّ هذه المكرمة العظيمة، والتسامح الكبير من النبيّ ﷺ لثمامة، تركت في نفس ثمامة أثرًا طيبًا.

- **إنكاره ﷺ ضرب الغلامين**: وذلك حينما أنكر النبيّ ﷺ على الصحابة ضرب غلامين من عبيد قريش كانا يستقيان الماء قبل موقعة بدر، فوقعا في أيدي المسلمين؛ فسألوهم عن الجيش وعدته وعتاده؛ وجعل الغلامان يقرّان بكل ما يعرفانه، ومع ذلك ظل الصحابة يضربونهما، فاستنكر النبيّ ﷺ ذلك قائلًا لهم: **"إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا! صِدْقًا وَاللَّهِ، إِنَّهُمَا لَقُرَيْشٌ.."** (الطبري، ١٩٦٧م، ٤٣٦)، فعلى الرغم من أنّ الغلامين من الجيش المعادي، وضربهما قد يكشف للمسلمين ثغرات الضعف في جيش قريش، إلا إنّ النبيّ استنكر ضربهما وتعذيبهما.
- **تسامح النبيّ ﷺ مع أبي سفيان بن حرب:** تسامح النبي محمد ﷺ مع أبي سفيان بن حرب مثال بارز على التسامح والرحمة التي تحلى بها النبي في التعامل مع أعدائه، كان أبو سفيان زعيم قريش ومن أشد المعادين للإسلام وللنبي في بداية الدعوة؛ ولكنه بعد سنوات من العداء، أظهر النبي عظيم تسامحه معه بعد فتح مكة، فعندما جاء أبو سفيان إلى المدينة في محاولة لتجديد صلح الحديبية بعد أن نقضت قريش العهد، قابل النبي وتعامل معه بلطف واحترام على الرغم من خيانته للصلح، فقبل فتح مكة، أعلن النبي أن من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، فهذه الخطوة كانت علامة واضحة على تسامح النبي، حيث أعطى الأمان لأعدائه وأظهر لهم الرحمة والكرم. كان هذا الإعلان جزءًا من تأكيد النبي على تجنب العنف وإراقة الدماء في فتح مكة، وعندما

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

دخل النبي مكة فاتحًا، عفا عن أهلها، وقال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء". لقد كان أبو سفيان من ضمن هؤلاء الذين شملهم العفو، رغم دوره الكبير في معارضة النبي والإسلام لسنوات طويلة، وبعد إسلام أبي سفيان، أحسن النبي معاملته، وأصبح أبو سفيان وأبناؤه من المدافعين عن الإسلام، وشاركوا في الفتوحات الإسلامية، مما يدل على تحولهم الكبير بفضل تسامح النبي وحسن معاملته.

- **إكرام سهيل بن عمرو:** كان سهيل بن عمرو من أشد معارضي النبي ﷺ في بداية الدعوة الإسلامية، وقد أُسر في معركة بدر، وكان حينها من بين المشركين الذين وقعوا في يد المسلمين، وقد تم فداؤه من الأسر وظل على شركه، حتى دخل النبيّ ﷺ مكة فاتحًا، أغلق سهيل بابه، وأرسل لابنه أن يأخذ له أمانًا، فأمّنه رسول الله ﷺ وقال: **"مَنْ لَقِيَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، فَلَا يَشُدَّ النَّظَرَ إِلَيْهِ، فَلَعَمْرِي إِنَّ سُهَيْلًا لَهُ عَقْلٌ وَشَرَفٌ، مَا مِثْلُ سُهَيْلٍ جَهِلَ الإِسْلَامَ"** (الغضبان، ١٩٩٠م، ١٢٩)، فكان سهيل بن عمرو من بين الذين أسلموا، رغم ماضيه المعادي للإسلام، قبل النبيّ ﷺ إسلامه برحابة صدر، وعامله باحترام؛ هذا الموقف يعكس تسامح النبي ﷺ، ورغبته في الإصلاح بدل الانتقام.
- **تسامح النبيّ ﷺ مع صفوان بن أمية :** كان من ألدّ أعداء النبي ﷺ، وعندما هزم في فتح مكة، هرب ليقتل نفسه خوفاً من الانتقام؛ ولكن النبي أرسل إليه الأمان، وعندما عاد صفوان أعلن النبي أنه في أمان لأربعة أشهر، مما أعطى صفوان الوقت للتفكير في الإسلام، وبالفعل أسلم لاحقاً.
- **تسامح النبيّ ﷺ مع هند بنت عتبة:** هند بنت عتبة كانت من أشد المعادين للنبي والمسلمين، وكانت قد حرّضت على قتل حمزة بن عبد المطلب في غزوة أحد، بعد فتح مكة، جاءت هند لتعلن إسلامها، فقبل النبي إسلامها برحابة صدر دون أي تردد.
- **تسامحه مع اليهوديّة زينب بنت الحارث:** عندما وضعت زينب السم في طعام النبي، أكل منه لكنه لم يعاقبها عندما اعترفت بفعلتها، أظهر تسامحه ورحمته رغم خطورة ما فعلته.

تسامح النبيّ ﷺ مع جاره اليهودي: كان للنبي جار يهودي كان يؤذيه بوضع القمامة أمام بابه. عندما مرض هذا الجار، زاره النبي للاطمئنان عليه، مما دفع الرجل إلى الإعجاب بأخلاق النبي وأسلم لاحقًا.

هذه المواقف تبين بوضوح كيف كان النبي ﷺ رمزًا للتسامح والرحمة حتى مع أولئك الذين كانوا أعداءً له في البداية، مما أسهم في تحوّلهم إلى أنصار مخلصين للإسلام.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

الخاتمة:

ختامًا، يتبيّن لنا أنّ التسامح ليس مجرد قيمة أخلاقية، بل هو ضرورة إنسانية وحضارية تسهم في تعزيز الاستقرار والتعايش السلمي بين الأفراد والمجتمعات. ومن خلال استعراض مفهوم التسامح، وأهميته، ومظاهره، ومجالاته المختلفة، تبيّن أن له دورًا محوريًا في بناء مجتمعات متماسكة قائمة على الاحترام المتبادل. كما أن الشريعة الإسلامية أكّدت على التسامح من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، وأبرزت سيرة النبي ﷺ أعظم صور التسامح مع المسلمين وغير المسلمين، ولكي يستمر التسامح كنهج حياة، لا بد من الالتزام بضوابطه والسعي إلى ترسيخه عبر وسائل فعّالة تضمن استدامته في شتى مجالات الحياة؛ وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. أشارت الدراسة إلى أن الإسلام دعا إلى التسامح من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، وأبرزت سيرة النبي ﷺ أعظم النماذج العملية في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين بروح الرحمة والعدل.
٢. أكّدت أنّ التسامح يعدّ عنصرًا أساسيًا في بناء علاقات دولية مستقرة، ويقلل من احتمالية نشوب الصراعات الدينية أو العرقية أو الاقتصادية.
٣. بيّنت أن للتسامح أبعاد متعددة، منها الديني، والاجتماعي، والاقتصادي، والدولي، وكلها تساهم في تحقيق مجتمع متوازن يقوم على مبادئ التفاهم والاحترام.
٤. أوضحت الدراسة أن التسامح يجب أن يكون منضبطًا بضوابط تحفظ الحقوق والكرامة.
٥. أشارت الدراسة إلى أن البيئات المتسامحة توفر مناخًا مناسبًا للاستثمار والنمو الاقتصادي.
٦. أظهرت الدراسة أن النبي ﷺ كان مثالًا يُحتذى في التسامح مع المسلمين وغير المسلمين.

التوصيات:

١. على المؤسسات التعليمية إدراج قيم التسامح ضمن المناهج الدراسية.
٢. يجب على وسائل الإعلام المساهمة في نشر ثقافة التسامح عبر البرامج الهادفة.
٣. تقع على عاتق المؤسسات الدينية مسؤولية توضيح المفهوم الصحيح للتسامح وفق تعاليم الإسلام السمحة، والرد على الشبهات التي تربط بين الدين والتعصب، مع التركيز على إبراز تسامح النبي ﷺ في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين.
٤. ينبغي للمؤسسات المدنية والحكومية تنظيم برامج ومبادرات تعزز التواصل بين الفئات المختلفة في المجتمع.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

٥. على الحكومات والمؤسسات التشريعية وضع قوانين صارمة تجرّم العنصرية والتعصب الديني والعرقي، وتدعم المساواة بين الأفراد، لضمان بيئة يسودها العدل والتسامح.
٦. يتوجب على المنظمات الدولية التعاون في نشر قيم التسامح بين الشعوب.
٧. من الضروري تأهيل المعلمين والدعاة ليكونوا قدوة في تعزيز التسامح.
٨. ينبغي توظيف الوسائل الرقمية والتطبيقات التفاعلية لتعزيز ثقافة التسامح.
٩. على المؤسسات الأكاديمية والثقافية تسليط الضوء قيم التسامح في حياة النبيّ ﷺ، فهو القدوة الحقيقية للأجيال القادمة.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

المراجع العلمية:

ابن الأزهري. (٢٠١١). تهذيب اللغة (محمد عوض مرعب). دار إحياء التراث العربي.

ابن حنبل، أ. (١٩٩٥). مسند أحمد (أحمد شاكر). دار المعارف.

ابن سعد، م. (١٩٩٠). الطبقات الكبرى (محمد عبد القادر عطا). دار الكتب العلمية.

ابن سيده. (٢٠٠٠). المحكم والمحيط الأعظم (عبد الحميد هنداوي). دار الكتب العلمية.

ابن عاشور، م. (٢٠١١). مقاصد الشريعة الإسلامية (محمد الميساوي). دار النفائس للنشر والتوزيع.

ابن عاشور، م. (١٩٨٥). أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. دار السلام.

ابن فارس، أ. (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة (عبد السلام هارون). دار الفكر العربي.

ابن كثير. (١٩٩٧). البداية والنهاية (عبد الله بن عبد المحسن). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن منظور. (١٤١٤هـ). لسان العرب. دار صادر.

أبو داود السجستاني. سنن أبي داود (محمد محيي الدين). المكتبة العصرية.

أبو داود. (١٩٦٨). عون المعبود شرح سنن أبي داود (عبد الرحمن عثمان). المكتبة السلفية.

أبو زهرة، م. (١٩٩٥). العلاقات الدولية في الإسلام. دار الفكر العربي.

الإبياري، ع. (٢٠١٣). التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه (علي بسام). دار الضياء.

اختيار وكالة شئون المطبوعات والنشر. (١٤٢٣هـ). خطب مختارة. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

إسماعيل، ن. خ. (٢٠٢٤). التسامح في الفكر الإسلامي: منهج حضاري وثقافي. مجلة الجامعة العراقية، ٦٧(٢)، ٦١-٦٧.

البخاري، م. (١٩٩٣). صحيح البخاري (مصطفى البغا). دار اليمامة.

البغوي، ح. (١٩٨٧). مصابيح السنة (يوسف المرعشلي وآخران). دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

البيهقي، أ. (٢٠٠٣). السنن الكبرى (محمد عبد القادر عطا). دار الكتب العلمية.

الترمذي. (١٩٧٥). سنن الترمذي (أحمد محمد شاكر وآخرون). مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

لوك، ج. (١٩٩٧). رسالة في التسامح (منى أبو سنة). المجلس الأعلى للثقافة.

الدرعي، ع. ح. (٢٠٢٠). التسامح في الشريعة الإسلامية: تجربة دولة الإمارات نموذجًا (رسالة دكتوراه). جامعة محمد الخامس، أبو ظبي.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472

الدمشقي، م. (١٩٦٨). كتاب آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة (عمر باشا). مجمع اللغة العربية.
الذهبي، م. (١٩٨٥). سير أعلام النبلاء (بشار عواد معروف). مؤسسة الرسالة.
الرازي، م. (١٩٩٩). مختار الصحاح (يوسف الشيخ). المكتبة العصرية.
راشد، م. م. (٢٠٢٠). التسامح الفكري في الإسلام. المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، ٣٨، ١-٢٠.
الزحيلي، و. (١٩٩٨). آثار الحرب في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة. دار الفكر.
السهيلي، أ. (٢٠٠٠). الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (عمر عبد السلام السلامي). دار إحياء التراث العربي.
أبو شهبة، م. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة. دار القلم.
ضيف، ش. الفن ومذاهبه في النثر العربي. دار المعارف.
الشيباني، أ. (١٩٩٥). مسند أحمد (أحمد محمد شاكر). دار الحديث.
الطبري، م. (١٩٦٧). تاريخ الرسل والملوك (محمد أبو الفضل إبراهيم). دار المعارف.
عبد القوي، ع. (١٩٦٨). الترغيب من الحديث الشريف (مصطفى عمارة). دار إحياء التراث العربي.
عفيف، أ. (٢٠٢٠). التربية على التسامح مع الآخر: دراسة تحليلية في ضوء العقيدة الإسلامية. المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي.
الغامدي، ع. (٢٠١٠). ثقافة التسامح مع الآخر ومدى انتشارها بين الطلبة (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة طيبة.
الغضبان، م. (١٩٩٠). المنهج الحركي للسيرة النبوية. مكتبة المنار.
القرافي. (٢٠١٠). أنوار البروق في أنواء الفروق. وزارة الأوقاف السعودية.
القرطبي، م. (١٩٦٤). الجامع لأحكام القرآن (أحمد أطفيش). دار الكتب المصرية.
مالك بن أنس. (١٩٩١). موطأ الإمام مالك (بشار عواد معروف). مؤسسة الرسالة.
مجمع اللغة العربية. (١٩٨٣). المعجم الفلسفي. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
مرتضى الزبيدي. (١٩٦٥). تاج العروس (مجموعة محققين). دار الهداية.
المناوي، م. (١٩٨٨). التيسير بشرح الجامع الصغير. مكتبة الإمام الشافعي.
الموصلي، أ. (١٩٨٤). مسند أبي يعلى (حسين سليم، المحقق). دار المأمون للتراث.
النيسابوري، م. (١٩٥٥). صحيح مسلم (محمد عبد الباقي، المحقق). دار إحياء التراث العربي.
اليونسكو. (١٩٩٥). إعلان مبادئ بشأن التسامح. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. https://hrlibrary.umn.edu/arab/tolerance.html.

ISSN: 2537-0464 eISSN: 2537-0472